الوَداعُ عند شعراءِ الغزلِ في العصر الأموي عمر بن أبي ربيعة وجميل بن معمّر اختياراً

أ.م.د.حسين علي عبد الحسين الدخيلي
أ.م.د.حامد علي غيلان
جامعة ذي قار – كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

في بداية الحديث عن موضوع هذا البحث لابدّ لي من قولٍ أُأكّد من خلاله أن الوداع فضلاً عن كونه ظاهرةً بارزةً في شعر الغزل في العصر الأموي إلاّ أنه في الوقت ذاته أصبح موقفاً احترازياً أُضطرّ إليه إنسان ذلك العصر ،حين شعر أو تصوّر أنّ شيئاً ما يهدّد أو ينقص من كيانه ، ومن هنا وإزاء هذا القول لا يمكن لي أن أعدّ الوداع عند شعراء الغزل الأموي إفرازاً لحياتي الترف والرفاهية التي يعيشونها بل أصبح ضرورةً ملحّةً استمدت كنهها وصيرورتها من طبيعة المودَّع نفسه بشكلٍ خاصٍ ومن طبيعة الوضع العام الذي عمل على إيجاده بشكلٍ أعم.

ولعلّ موضوع البحث جعلني أقتفي منهجاً قام على التفسير والتحليل لأشعار الغزل الأموي واستنباط ما فيها من دلالاتٍ إلى الظاهرة موضوع البحث **(الوداع)**، وربط تلك الظاهرة بهواجس الشاعر ومشاكله وهمومه ، من خلال الأستعانه بمصادر علم النفس ومذاهبه ،كونها الأقدر على تفسير الكثير من الحقائق النفسية ولاسيّما تلك التي تتعلق بأنواع الوداع وآثاره .

وقد اقتضت طبيعة البحث أن تكون خطّته في ثلاثة فصول سبقتها مقدّمةٌ ،فجاء أوّل الفصول بوصف **أركان الوداع** الثلاث والتي هي(**وقت الوداع ، حال المودِّع ، حال المودَّع**).

أما الفصل الثاني فاختصّ **بموضوعات الوداع** فذكر منها(**وداع الحبيبة ، ووداع الشباب ، ووداع ما مضى من الزمان ، ووداع الجيران والأصدقاء**).

أما الفصل الثالث فاهتمّ بالكشف عن أهم **الآثار الناجمة من الوداع** ومنها (**الأرق وطول الليل ، والسقم ونحول الجسم ، وانقطاع التواصل ، واندراس الديار**).

وفي الختام أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّق الجميع أنه نعم المولى وخير نصير ، والحمد لله ربّ العالمين ..... .

الفصل الأول : أركان الوداع :-

توطئة:

لما كان لكلّ وصالٍ من افتراقٍ ، ولكلِّ بدايةٍ من نهاية ، ولكلِّ دانٍ من تناءٍ ، وتلك هي عادة الله في العباد والبلاد ، حتى يرث الله الأرض ومَن عليها ، جاء الوداع ليكون الحدّ الفاصل بين تلك الثنائيات ، مشكّلاً نهايةً للأُولى وبدايةً للأُخرى ، لذا جاء هذا الفصل كاشفاً لنا عن حال المحبّين سواء أكانوا **(مودِّعين أم مودَّعين)** ، مبتدئين بوصف أصعب وقتٍ يمرّ به المحبّون ، ألا وهو(**وقت الوداع**) ، مروراً بوصف حال المحبّين **(مودِّين أو مودَّعين**)، مظهرين ما دفعهم إلى التعبير والإفصاح عمّا تجيش به نفوسهم من أحزانٍ وآلامٍ نتيجة وداع الأحبّة ، ولعلّ تسمية الفصل بهذا العنوان **(أركان الوداع**)، جاء لكون موضوعاته – أعني وقت الوداع وحال المودِّع والمودَّع _ يتساوى في المرور بها كلَّ مَن أذاقه الزمان مرارة الوداع ، على خلاف عنوانات الفصلين الآخرين والتي تتغيّر حسب طبيعة الوداع وتنوّع أسبابه وحسب طبيعة المودّع نفسه .

أوّلاً :- وصف وقت الوداع :

لقد حرص الإنسان منذ إن وجد على أرض الخليقة على التعبير عمّا يدور في نفسه من انفعالات ومشاعر ، متمثّلة بعاطفتي (**الفرح والسرور**) ، ولما كان الوداع موضوع الدراسة له دوافعه التي تحث الشاعر على ترجمة عاطفته من خلال الشعر ، هذا ما أكّده

ابن قتيبة حين ذهب الى رصد دواعي الشعر التي تحث البطيء وتبعث المتكلف ، منها الطمع ، ومنها الاشتياق ومنها الغضب وما شاكل ذلك [١] ، ولعل من تلك الدوافع ما أثار عاطفه شاعر الغزل الأموي عندما دقّ أُزميل الوداع معلناً تفرّق الأحبة وتشتّت شملهم ، مما حدا بشاعر الغزل أن يكشف لنا عن حاله وماآلت اليه نفسه ، بعد إن شعرت بدنو فراقها فراح يرصد لنا كل تلك الأحداث المصاحبة للتوديع ، ولعلّ من أهمها ، (**وصف وقت الوداع**) ، ذلك الوقت وتلك اللحظات التي ترقّق ما قسى من القلوب ، وتليّن ما غلظ من الأفئدة ، وتجعل من الإنسان (**مودِّعاً ومودَّعاً**) صادقاً في القول ، معبّراً عن سرائره ابلغ تعبير ، كاشفاً بإخلاص عن نواياه ، محاولاً استعطاف بعضهم للبعض الآخر ، ولعلّه كما يبدو لي من أصعب الأوقات التي يمرّ بها المحبّون ومن أقساها ، لما تحمله من نوايا الفراق والتشتت وبُعْد السكن ، هذا ما طالعنا به جميل بن معمر عندما جعل وقت الوداع يمثل بدايةً لأحزانه وأشجانه ، يقول :

ياعاذليّ ، من الملامِ دعاني إن البليّة فوق ما تَصفان
زعمت بُثينة أن فرقتنا غداً لامرحباً بغدٍ فقد أبكاني [٢]

فالشاعر جعل من وقت الوداع في هذا النص ، والذي حدّده ب (غدِ) بداية لوعته وبكائه ، لذا نراه لم يرحّب به ولا بمجيئه ، لما يحمله من لسعات الفراق ولوعاته والتي أحسَّ بها قبيل وقوع الوداع .

ويرى عمر بن أبي ربيعة ، أن عزاءه بدأ منذ أن رَحل أحبّته ، يقول :

تشط غداً دار جيراننا وللدار بعد غدٍ أبعدُ
إذا سلكت غمر ذي كندةٍ مع الركب قصدٌ لها الفرقدُ
وحثَّ الحداة بها عِيرها سراعاً إذا ما وَنت تُطردُ
هنالك إما تعزّى الفؤاد وإما على إثرهم يكمدُ
فليست ببدعٍ لئن دارُها نأت فالعزاء إذاً أجلدُ [٣]

لعلّ المتأمل لهذه الأبيات يشعر أن عمراً في موضع تساؤل ، يتبعُه شك وحيرة ، لم يعلم مصيره بعد رحيل أحبته ولم يحدّد طريقة تعامله بعدهم ، فهم إن بعدت ديارهم بعد غدٍ ، وجاوزت (**ماء طام**) ، أحد مواضع ما أسماه ب (**ذي كنده**) ، وقام حداة الإبل

بحدائها وتشجيعها على السير ، كلما كلّت وفترت من شدّة التعب وطول الطريق ، فما هو مصيره ؟ أهو العزاء ، وهو المختار ، ام الصبر الذي نراه بعيداً عنه ، لما تحمله نفسه من عاطفةٍ قويةٍ تشدّه الى أحبته الراحلين . ويصف جميل بن معمر ، وقت وداعه لبثينة ، ذلك الوقت الذي أحزنه وأحزنها ، متمنّياً أن يجمعهما مجلسٌ يودّعان من خلاله بعضهما للبعض الآخر قبل التفرّق والرحيل ، يقول :

ليت شعري إذا بُثينة بانت هل لنا بعد بينها من تَلاق
ولقد قلت يوم نادى المنادي مُستحثاً برحلةٍ وانطلاق
ليت لي اليوم يابُثينة منكم مَجلساً للوداع قبل الفراق
حيث ما كنتم وكنتُ فإنّي غير ناسٍ للعهد والميثاق (٤)

وقد أصبح وقت الوداع لدى عمر بن أبي ربيعة ، كاشفاً للسّر واللقاءات ، الأمر الذي يحرص عليه المحبّون أيما حرص ، يقول مصوراً ذلك :

لعمري لقد بيّنت في وجه تُكتَم غداة تلاقينا التجهّم والغضب
بلايدِ سوءٍ كنت أزللتُ عندها ولا بحديثٍ نُثَّ عنّي فيا عجب
وإني لمصرومٌ إذا قال كاشحٌ فوافق يوماً بعض ما قال أو كذب (٥)

ونجد الأمر ذاته عند جميل بن معّمر ، يقول :

وآخر عهدٍ لي بها يوم ودّعت ولاح لها خدٌّ مليحٌ ومَحجرُ
عشيَّة قالت : لا تضيعنّ سرَّنا إذا غبت عنّا وارعَه حين تُدبرُ
وطرفك إما جئتنا فا حفظّنه فذيعُ الهوى بادٍ لمن يتبصّرُ
وأعرض إذا لاقيت عيناً تخافُها وظاهر ببُغضٍ إنّ ذلك أسترُ
فإنك إن عرّضت فينا مقالةً يعزُّ علينا نشره حين يُنشرُ
وينشر سرّاً في الصديق وغيره يَزِد في الذي قد قلت واشٍ ويُكثرُ
فما زلتَ في إعمال طرفِك نحونا إذا جئتَ حتى كاد حبُّك يظهر
لأهلي حتى لامني كل ناصحٍ وإني لأَ عصي نَهيُهم حين أُزجرُ (٦)

لعلّنا نلحظ ألماً آخر في النّصين السابقين ، من وقت الوداع أُضيف الى آلامه السابقة ، وهذا الألم وذاك الخوف تمثّلا بكشف أسرار العاشقين وما كانا يحرصان على كتمانه ، فجاء وقت الوداع لينشر المستور ويجعله معلناً أمام الأهل والواشين ، ولعلّ السبب الكامن وراء كتمان الأسرار يتعلّق بتَصاون المحبّ على أن يَسمِ نفسه بهذه السمة عند الناس ، وحتى لا يَنفر المحبوب أو يُنْفر به ، وهذا ضرب من السياسة كما يرى ابن حزم [٧] .

وقد زرع وقت الوداع لدى عمر بن ابي ربيعة مرضاً في جسمه لم يفارقه حتى تفارق روحه جسده ، وخلّف في نفسه هماً ، صدّع كبده يقول مصوراً ذلك :

يا ليلة السّبت قد زوّدتني سقماً حتى الممات وهماً صدَّع الكَبِدا [٨]

ولعلّ الخوف من وقت الوداع قد جعل عمراً ، يرتجف خوفاً منه الأمر الذي جعله يطلب من حبيبته أن تشاركه الشكوى ولوعة الفراق ، يقول :

زعموا بأنّ البين بعد غدٍ فالقلب ممّا أزمعوا يجفُ
لم أنسَ موقفنا وموقفها لِتراجُعٍ ولَحيننا يقفُ
نشكو وتشكو بعض ما وجدت كلٌّ لوشك البين معترفُ[٩]

وقد يرغب أحياناً جميل بن معمّر ، بقرب الوداع والذي يرقّ به قلب الحبيبة وينال استعطافها وعنايتها ، لذا نراه راغباً بذلك الوقت كونه يوفّر له لقاءً ينفرد به مع حبيبته لقاءٌ قلَّ وجوده أمام كثرة أعين الرقباء والواشين ، يقول :

إنّ التّرحل إن تلبّس أمرنا وإعتاقنا قدرٌ أُحِمَّ بكورُ
إني عشيّة رحتُ وهي حزينةٌ تشكو إليّ صَبابةً لصبورُ
وتقول : بت عندي فديتك ليلةً أشكو إليك فإن ذاك يسيرُ
غرّاءُ مِبسامٌ كأنّ حديثها دُرٌّ تحدَّر نظمه منثورُ
لاحُسنِها حُسنٌ ولا كدلالها دلٌّ ولا كوقارها توقيرُ [١٠]

أما عمر فنراه يرغب ببعض أوقات الوداع وليس أجمعها ، فنراه يختار (**اللّيل**) منها ، كونه ساتر للمجالس التي تجمع المحبين عند الوداع ، وما يتخلّلها من عناق وتقبيل وفقدان التوازن ، يقول :

فأبان رجع الطرف : أن لاترحلن حتى يجنَّ الناس ليلٌ مظلمُ
فلعلّ غِبّ الليل يستُر مجلساً فيه يودِّع عاشقٌ ويُسلِّمُ (١١)

إلاّ إن موقف شاعر الغزل الغالب تجاه الوداع يتمثل بالموقف السلبي تجاهه وصعوبة التعامل مع أحداثه ، فهو عند عمر أسهم في إسكات الألسن عن النطق والمحاورة ، يقول مبيّناً ذلك :

فلّما تقضّى اللّيل إلاّ أقلَّه هببنا ونادى بالرحيل سنانُ
رجعنا ولم ينشر علينا حديثنا عدوٌّ ولم تنطق به شفتان (١٢)

ولعلّ هذا الموقف الصعب الناشئ من وقت الوداع جعل شاعر الغزل الأموي يقدّم كل ما بوسعه لإنهاء فترة اللقاء أثناء الوداع ومحاولة التعجّل بالرحيل لكي يتخلَّص " من تلك اللحظة المثيرة للمشاعر الكامنة في النفس " (١٣) الأمر الذي حدا بعمر بن أبي ربيعة الى التساؤل عن سبب تقهقر الركب الراحل بالأحبة وكأنه يرجع بهم الى الوراء ، يقول :

خليليَّ ما بالُ المطايا كأنما نراها على الأدبار بالقوم تنكص (١٤)

ولعلَّ الأمر يطول بنا ، اذا تابعنا كلّ موقف من مواقف الوداع التي مرّ بها شاعر الغزل الأموي لكثرة تلك المواقف وتعدّد أوقاتها (١٥) وليس أمامنا الاّ القول بأن رحيل الحبيبة لهو من المواقف الصعبة والمناظر الهائلة التي تفتضح فيها عزيمة كل ماضي العزائم ، وتخرس أمامها كل ذي قوة ، وتنهمر كلّ عين جمود ، ويظهر مكنون الفؤاد ، ولو أن ظريفاً يموت في أوقات الوداع لكان معذوراً إذا تفكّر فيما يحلّ به بعد لحظات من انقطاع الأمل وحلول الأوجال وإبدال المسرة بالأحزان ، وأنه لوقت ترق فيه القلوب القاسية وتلين الأفئدة الغلاظ وإنّ إمعان النظر ودوران الرأس وتلفت القلب بعد البعاد لهاتك حجاب الفؤاد وموُصله إلى الحزن والأسى (١٦) .

ثانياً : وصف حال المودِّع :_

إنطلاقاً من الرأي القائل ، من أن تكوين الشعراء تكوين متمايز عن غيرهم ، كونه يقوم على الأحساس المرهف والخيال الخلاّق ، وقيل ايضاً إن أعصاب البشر تحت جلودهم أما أعصاب الشعراء فهي فوق جلودهم ، وبفضل هذا الأختلاف والتمايز في طبيعة التكوين النفسي والايدلوجي ، وفي وضع الأعصاب ، تكون استجابة الشاعر

وموقفه إزاء الأشياء فورية آنية [١٧]، لذا نجد الشعراء في مختلف عصورهم وبيئاتهم ، يعبّرون عن إنفعالاتهم وأشجانهم وما يعتري حياتهم من مشكلات أصدق تعبير وأدق تصوير ، ولعلّ ، هذا الحال ينطبق تماماً على شاعر الغزل ، لاسيّما الذي صوّر لنا حالته حين وداع أحبته محاولاً من خلالها إظهار جزعه وعدم تصديقه لما يحدث أمامه ، ممّا ولّد حالة من الذهول والقلق سيطرت على نفسه ، فأحالته محزوناً قلقاً غير قادر على مسايرة الواقع ، هذا ما أظهره جميل بن معمر بقوله :

كأنّ دموع العين يوم تحمّلت بثينة يسقيها الرشاش مَعينُ
ظعائن ما في قُربهنّ لذي هوىً من الناس الا شِقوةٌ وفنونُ
وواكلنه والهمّ ثم تركنه وفي القلب من وجدٍ بهنّ حنينُ
ورحُنَ وقد أودَعن قلبي أمانةً لبثنةَ سِرٌّ في الفؤاد كمينُ
تشيِّبُ روعات الفراق مفارقي وأنشزن نفسي فوق حيث تكونُ
فواحسرتا إن حيل بيني وبينها وياحين نفسي كيف فيك تَحينُ
وإني لأستغشي وما بي نعسةٌ لعلّ لقاءً في المنام يكونُ [١٨]

لعلّ المتأمل لهذه الأبيات يدرك بوضوح تام النظرة الفلسفية للشاعر والتي اعتمد فيها على تجربته في الحياة ، حين صوّر لنا نظرته الى موقف الوداع بين حياة وموت ، تلك الحياة التي عاشها بقرب أحبته قبل الرحيل ، وذلك الموت النفسي الذي لازم حياته منذ أن دقّ أُزميل الرحيل مؤذّناً بالفراق ، لذا فالشاعر استطاع أن يكشف لنا عن حاله وما آلت إليه نفسه بفعل البكاء والهمّ والحسرّة وشيب المفارق وما يتبعها من هلاك وهو ما أرّقه وأخافه فاستنجد بالنوم لعلّ لقاءً في المنام يجمعهما فتقرّ عينه ويهدأ بالهُ وتستريح نفسه .

أما عمر بن أبي ربيعه فلم يكن بأحسن هيأةً من نظيره ابن معّمر ، فقد كاد الأسى يقضي عليه ويطبع نفسه بطابعه المأساوي ، حين تنادى أهل الحبيبة بالرحيل ، يقول :

لمّا تنادوا للرحيل وقرّبوا بُزل الجمال لِطيَّةٍ و ذَهابِ
كاد الأسى يقضي عليك صبابةً والوجه منك لِبين إلفِكَ كابِ [١٩]

لذا نراه يرفض أية فكرة بعد رحيلهم تتعلّق بالصبر أو التأسي ، لأنّ كل ذلك لايُغني عن غيابهم ، ولايغيّر من حاله ، سوى دواء وحيد يُشفي شدةّ الحب وحرقته وتوهج شوقه ، لكنّ ذلك الدواء لن يستطيع أن يأتي به طبيبٌ مداوٍ ، سوى حَبيبته الراحلة تلك التي زرعت برحيلها ذلك الداء الذي يَصعب تفاديه ، يقول :

يقول خليلي إذا أجازت حمولها خوارج من شوطان بالصّبر فاصفَرِ
فقلت له : ما من عزاءٍ ولاأُسىً بمُسلٍ فؤادي عن هواها فأقصرِ
وما من لقاءٍ يُرتجى بعد هذه لنا ولهم دون التفاتِ المُحجَّرِ
فهاتِ دواءً للذي بي من الجوى وإلاّ فدعني من ملامِك واعذرِ
تباريحَ لايشفي الطبيب الذي به وليس يُؤاتيه دواءُ المبشترِ (٢٠)

ويستغرب جميل بن معمّر من دعوة لائميه له بعدم البكاء ، مقارناً حاله من دون حبيبته بحال (**الأيك**) الفاقد لأُلفه ، فإن كان الحمام باكياً أُلفه فلِمَ يبكِ جميل بثينة التي تستحق النوح والبكاء ، فأخذ يبكيها حتّى وصفه الناس بالجنون من شدّة بكائه ، يقول :

أيبكي حَمام الأيك من فقد إلفه وأصبِرُ ؟ مالي عن بثينة من صبر !
ومالي لا أبكي وفي الأيك نائحٌ وقد فارقتني شَختة الكشح والخصرِ
يقولون : مسحورٌ يُجنُّ بذكرها وأُقسم ما بي من جنونٍ ولا سِحرِ (٢١)

ويعيش عمر بن أبي ربيعة بعد رحيل أحبته في دنيا تطاول ليلها بعد إن كان قصيراً بوصالهم ، وأصبحت نفسه معاديةً لفراشها ، لاتوافقها السكينة والهدوء ، يقولون :

وأنّ الليالي طُلن منذ هجرتني وكُنّ قصاراً قبل أن نتصدَّعا ؟
وأن لم نزل منذ أهتجرنا كأنني مُعادٍ فراشي ماأُلايم (٢٢) **مضجعا** (٢٣)

ويصف لنا في موضع آخر حاله يوم الرحيل ، بأن حياته كادت تنقضي ويا ليتها قضت قبل هذا اليوم ، حتى لا تشاهد أحداثه المأساوية ، تلك الأحداث التي أخرسته عن القول والتعبير من شدّة حبّه وغزارة بكائه ، يقول :

كدت يوم الرحيل أقضي حياتي ليتني متُّ قبل يوم الرحيلِ
لا أُطيق الكلام من شدّة الوج دِ ودمعي يسيلُ كلّ مسيلِ(٢٤)

وقد أورث فراق بثينة قلب جميل صدعاً لا شفاء له ، وجعل من نفسه متمردةً عليه لا تطاوعه في أمره ، يقول :

لقد أورثتْ قلبي وكان مصحَّحاً بثينة صدعاً يوم طار رداؤها
إذا خطرت من ذكرِ بثنةَ خطرةٌ عصتني شؤون العين فانهلَّ ماؤُها
وكيف بنفسٍ أنتِ هيّجتِ سُقمها ويمنعُ منها يابُثين شفاؤها
لقد كنتُ أرجو أن تجودي بنائلٍ فأخلف نفسي من جَدَاكِ رجاؤُها
ولكن عصتني واستبدَّت بأمرها فأنتِ هَواها يابُثَينَ وشاؤُها(٢٥)

ويكشف عمر بن أبي ربيعة حين وصف لنا حاله عند وداع أحبّته بأن أمر فراقهم وبعادهم مكتوبٌ ومقدّرُ ولا رادَّ له ، لذا نجده يخاطب (**عزَّة**) محاولاً إعلامها بحاله ، يقول :

نادِ الذين تحمّلوا كي يربعوا كيما يودِّع ذوهوىً ويودَّعُ
ماكنت أخشى بعدما قد أجمعوا وفراقُهم بالكُرهِ أن لايربعوا
أن يفجعوا دَنِفاً مصاباً قلبُه من حُبهم في كلّ يومٍ يُردَعُ
حتى رأيت حُمولَهم و كأنها نخلٌ تكفكِفُها شمالٌ زعزعُ
وأقول من جزعٍ لعزّة بعدما ساروا وسال بهم طريقٌ مهيعُ
لو كنتُ أملكُ دفع ذا لدفعتُه عنّي ولكن ما لهذا مَدفعُ(٢٦)

الأمر الذي جعله يكتب لحبيبته المفارقة رسالة لعلّها تصل إليها ، شارحاً من خلالها حاله بعد البعاد ، وما هو عليه من حزنٍ وشوقٍ وحسراتٍ أدمت قلبه وأدمعت عينيه ، يقول :

كتبتُ إليك من بلدي كتابَ مُولَّهٍ كَمدِ
كئيب واكفِ العيني نِ بالحسرات منفردِ
يُؤرّقُهُ لهيبُ الشو ق بين السَّحرِ والكبدِ
فيُمسكُ قلبهُ بيدٍ ويمسحُ عينه بيدِ (٢٧)

نستخلص مما تقدّم أن شاعرينا ((**عمر وجميل**)) استطاعا أن يعبّرا عن حالتيهما النفسية والشعورية نتيجة وداع أحبّتهما خير تعبير ، كاشفين عما تموج به نفسيهما من

أشواق وحسرات من خلال أشعارهما ، كون الشعر يعدّ ملاذاً للروح تتخفّف عنده من متاعبها ، وتسترْوح تحت ظلاله وبين أفيائه من ثقل الهموم ونوازعه المستمرة [٢٨] ، لذلك يخطأ كل مَنْ يرى أن الحزن والبكاء من أثر الوداع يعدّان مصدراً لضعف النفس البشرية، فهما كما يرى الأستاذ فاضل خلف مصدرُ قوّة ، كونهما يعدّان دليلاً على شعورنا بقيمة ما نفقده من الناس وما نفارقه من موجودات [٢٩] .

ثالثاً / وصف حال المودَّع:

لعلّ حال المودَّع لم يكن بأفضل من حال المودِّع ، بل قد يفوقه سوءً ، كونه سيواجه بعد الرحيل أُناساً غير ناسه ووطناً غير وطنه وبيئة غير بيئته ، مما يجعله يقاسي الويلات في التعامل معها والتأقلم مع أحداثها ، ولهذا فقد أنطلق الراحلون للتعبير عن حالهم الناتج عن وداع أحبتهم ، ولكن بطريقة سلبية ، فهذا جميل بن معمّر يصف لنا حال حبيبته بعد إن دقَّ أُزميل الرحيل بأنها باكية حزينة معاتبةٌ إيّاه بأنه قاتِلُها ، يقول مصوراً ذلك :

فيا حُسنها إذ يغسل الدمع كحلها وإذ هي تُذري الدمع منها الأَناملُ
عشيّة قالت في العتاب : قتلتني وقتلي بما قالت هناك تحاول [٣٠]

أما عمر بن أبي ربيعة فوصف لنا حال حبيبته وما كانت عليه من بكاء وسهر ، ذلك البكاء الذي تجدّده بين الحين والآخر كلّما غفل أهلها عن مراقبتها ، يقول :

ابلغ سليمى بأنّ البين قد أفِدا وأنبيء سُليمى بأنّا رائحون غدا
تبكي علينا إذا ما أهلُها غفلوا وتكحل العين من وجدٍ بنا سَهَدا
حريصةٍ أن تكفّ الدمع جاهدةً فما رقا دمع عينيها وما جَمَدا [٣١]

ويصف جميل بن معمر حال موَّدعه حين تذاكر وإيّاه أيامهما السابقة وماضيهما السعيد المليء بالحب والوصال ، بأن عينيه أخذا يفيضان دمعاً ساكباً ، يقول :

إذا ما تراجعنا الذي كان بيننا جرى الدمعُ من عيني بثينة بالكُحلِ [٣٢]

أما موَّدعة عمر بن أبي ربيعة ، فطلبت منه زيارتها في غربتها وهي على حال لا تُحسد عليه من بكاء وألم بفعل النأي والبعاد ، يقول مصوراً حالها :

قالت ودمع العين يجرب واكفاً كالدرُ يُسبل تارةً ويغورُ
بالله زرنا إن أردت وصالنا واحذر أُناساً كلّهم مأمورُ

أن يأخذوك فكن فتى ذا فِطنةٍ إن الكريم لدى الحِذارِ صبورُ (٣٣)

ويصوّر لنا عمر في موقف آخر ، حال مودعته ويبالغ في تصويره إياه حين جعل بكاءها يجري جرياناً جزعاً على فراقه لها ، الأمر الذي جعلها تتضرَّع الى الله (**عزّ وَجَل**) أن يصبّرها على بعاده ويقرَّ عينها ، يقول مصوراً ذلك المشهد الحزين :

وجرت مآقيها بأدمُعها جزعاً وقالت : حُبّ من ذُكِرا
ياربّ إني قد شُغفت به أعقِب فؤادي منهم صَبَرا (٣٤)

ولعلّ ما يؤرق حال مودَّعه جميل بن معمر ، ويؤزُّم نفسيتها ، مخافتها من إفشاء الأسرار بعد انقطاع الوصال ، الأمر الذي جعلها في وجلٍ تامٍ من ذلك ، فراحت توصيه بكتمان السّر وعدم الإعلان به لكي لا تتعرض حياتها وحياته للخطر ، فضلاً على ذلك فإن كتمان السّر يعدُّ صفةً من صفات الحب كما أكّد ذلك ابن حزم بقوله " ومن بعض صفات الحب الكتمان باللسان وجحود المحبّ إن سُئل والتصنّع باظهار الصبر وأن يُرى أنه عِزَّهاة خلىّ ، ويأبى السر الدقيق ، ونار الكلف المتأججة في الضلوع إلاّ ظهوراً في الحركات والعين ... " (٣٥) يقول مبيناً ذلك الخوف وتلك الوصيّة :

وآخر عهدٍ لي بها يوم ودَّعت ولاح لها خدٌّ مليحٌ ومَحجِرُ
عشيّة قالت : لاتضيعنّ سرَّنا إذا غِبتَ عنّا وارعَه حين تَدبرُ
وطرفك إمَّا جئتنا فاحفظنه فذيعُ الهوى بادٍ لمن يتبصرُ
وأعرض إذا لاقيتَ عيناً تخافُها وظاهِر ببُغضٍ إنّ ذلك أَستَرُ
فإنك إن عرّضت فينا مقالةً يَزد في الذي قد قلت واشٍ ويكثرُ
وينشُر سرّاً في الصديق وغيره يعزُّ علينا نشره حين ينشرُ(٣٦)

وتمنّت مودَّعة عمر بن أبي ربيعة بعد إن تأكدت من مفارقته لها ، تمنت موتها قبل أن يأتي هذا اليوم ، يقول مجسداً ذلك :

تقول إذ ايقنت أني مفارقها ياليتني مِتُّ قبل اليوم ياعمرُ(٣٧)

ونراها تؤكد في موقف آخر بأن بتوديعه لها كأنّه حمل جنازتها وشَهد دفنها ، هذا ما بيَّنته بعد إن حاولت استعطافه بدموعها الغزيرة وتذلّلها له ، محاولة تغيير موقفه من مفارقتها ، يقول :

تقول وعينها تُذري دموعاً لها نسقٌ على الخدّين تجري
ألستَ أقرّ مَن يمشي لعيني وأنت الهمُّ في الدنيا وذكري؟
أمالك حاجةٌ فيما لَدَينا تكُن لك عندنا حقّاً فأدري ؟
أمِن سَخَطٍ عليّ صَددتَ عنّي حملتَ جنازتي وشهدتَ قبري؟ (٣٨)

وينقل لنا عمر بن أبي ربيعة موقفاً آخر لمودَّعته ، بيّن من خلاله يأسها من دفع بلوى الفراق ، واستسلامها للقدر الجالب للحزن والألم ، الأمر الذي جعلها تؤكد بأن اللّقاء لايتمَّ إلاّ إذا نسيهم القدر ولم يتخطّفهم الموت او من خلاله إيذانه لهم بذلك ، لكون الموت قاطع لكلّ علاقة بينه وبين العالم لأنّه يضع حدّاً لحديث الإنسان مع العالم الموضـــوعي (٣٩) ، يقول مجسّداً ذلك الحلم الغائب :

قالت وقد جدَّ رحيلٌ بها والعين إن تَطرِف بها تَسجُمِ
إن يَنسنا الموت ويؤذن لنا نَلقكَ إن عُمِّرتَ بالموسِمِ (٤٠)

لكن مودَّعة جميل بن معمر لم تدع للأمل مكاناً في حياتها ولا للّقاء وصلاً في نفسها ، عندما تيقّنت بأن الزمان لا رجعة له وإنّ الأيام لا يمكن بعثُها من جديد ، لكون الزمـــان دائم الحركة باتجاه الفناء ، وكل عام يَمضي منه لا سبيل لإعادته أو استرجاعه (٤١) يقول مبيناً تلك الحقيقة :

لما دنا البينُ بين الحيِّ واقتسموا حبل النوى فهو في أيديهم قِطَعُ
جادت بأدمعِها ليتلى وأعجلني وشكُ الفراقِ فما أُبقي وما أدعُ
ياقلبُ ويحك ما عيشي بذي سَلَمٍ ولا الزمان الذي قد مرَّ مرتَجَعُ
علّقتني بهوىً مُردٍ فقد جعلت من الفِراقِ حصاة القلب تنصدعُ (٤٢)

يتبيّن لنا فيما تقدم أن حال المودَّع كان أسوأ صورةً من حال المودِّع ، لكونه فـــارق مؤنساً سواء أكان ذلك المؤنس حبيباً أو وطناً أو غيرهما وعاشر أخـــرى صـــعب عليـــه التعامل معها ومع طبيعتها الجديدة ، ولعلّ هذا أمراً طبيعياً ، لكون الإنسان بصورة عامة مجبول في طبعه على تكوين تحالف مع الآخر لمجابهة الوحدة والوحشة ولمواجهـــة مـــا تخبؤه له الأيام (٤٣) ، وعلى هذا سار شعراء الغزل في العصر الأموي ..

الفصل الثاني: موضوعات الوداع :-

توطئة:_

إن حالة الوداع التي شغلت فكر الشعراء بصورة عامة ، وشعراء الغزل (**موضوع الدراسة**) على وجه الخصوص وأرّقت مشاعرهم وجعلتهم محزونين لم تكن واحدة ، بل هي حالة تعدّدت أنواعها وتنوعت تبعاً لنوع المودَّع ، ومدى قربه من نفس الشاعر وأهميته ، لذا فقد حتّم علينا موضوع البحث أن نكشف عن تلك الأنواع والتي منها (**وداع الحبيبة ، وداع الشباب ، وداع الوصال ، وداع الجيران ....)** .

أوّلاً : وداع الحبيبة :-

لعلّ من الأمور الصعبة والمذهلة للنفس والشاغلة للفكر والإحساس ، أن يودّع الإنسان حبيبته ، لكونها الوجه الآخر للحياة ، فإن هي أقبلت ، أقبلت معها الحياة وأن أدبرت ، أدبرت خلفها الحياة ، فهي اذن مصدرٌ للخصب والجمال ، وهي من جانب آخر مصدرٌ للحزن والعذاب والألم ، فإن كان الإنسان لاغنى له من الحياة فإن الحياة لا غنى فيها عن الحبيبة خصوصاً والمرأة بشكل عام ، كونها " ليست مجرد شريكة للرجل في حياته ، وإنما هي رمزٌ للحياة نفسها ، او بمعنى أدق يرتبط اقبالها بإقبال الحياة "(٤٤) ، لذلك فما رآه الدكتور صلاح عبد الحافظ عين الصواب ، حين قال بأن المرأة تخرج الرجل من وحدته وتعمل على تحويل كل انتباهه من (الأنا) الى (الأنت) (٤٥).

اذن فنحن نقول اذا كانت الحبيبة تحتلّ هذه الأمكنة النفسية في قلب الشاعر وفكره ، بناءً على ما تقدّم ، فكيف يكون حاله إن قام بتوديعها وداعاً يصعب عليه ردّه والوقوف بوجهه ، هذا ما لمسناه في شعر عمر بن ابي ربيعة وجميل بن معمّر ، حين ودّعا أحبّتهما مصورين موقفيهما أدق تصوير ومعبرين عنه أبلغ تعبير ، فهذا جميل بن معمر يؤكد لمودّعته حين ودّعها والدمع يسكب من عينيه والألم يعتصر قلبه ، بأن مودّته تجاهها لم ولن تتغيّر ، وإن قلبه لم ينشغل بسواها ، يقول موضحاً ذلك :

شهدتُ بأني لم تَغيَّر مودّتي وإني بكم حتى الممات ضنينُ
وأن فؤادي لايلينُ الى الهوى سواكِ وإن قالوا : بلى سَيَلينُ

فقد لانَ أيام الصبا ثم لم يكد من الدهر شيءٌ بعدهنّ يَلينُ
ولما عَلَون اللاّبَتين تشوّقت قلوبٌ الى وادي القُرى وعيونُ
كأنّ دموع العين يوم تحمّلت بثينة يسقيها الرشاشَ مَعينُ[٤٦]

ويودّع عمر بن ابي ربيعة حبيبته ، وقلبه متألمٌ حذرٌ من فراقها ومن مشهد الأضعان والهوادج الراحلة ، يقول مصوّراً حاله :

ياخليليّ هاجني الذكرُ وحمولُ الحيِّ إذ صَدروا
ظعنوا كأنّ ظُعنهمُ مونِعُ القِنوانِ[٤٧] أو عُشَرُ [٤٨]
بالتي قد كنت آمُلُها ففؤادي مُوجعٌ حَذِرُ[٤٩]

ونراه في موقف آخر يودِّع حبيبته ، وقلبه مليء بالأسى ، وعيناه يفيضان دمعاً كفيض الدّلو ، واصفاً إياها بأنها بَصَره وسَمعه ، وكيف يعيش المرء من دونهما ؟ وفي هذا رفضٌ كما يبدو لي لوداعها وتفرّقهما ، ولعلّ بيته الأخير يفسّر لنا ذلك الرفض ، حين أقسم بأن هجرها لو جاءه في عالم الأطياف لرفضته تلك الأطياف ولم تُطق سماعه ، يقول :

أيا مَن كان لي بَصَراً وسَمعاً وكيف الصبرُ عن بصري وسمعي ؟
يُجنُّ بذكرها أبداً فؤادي يَفيض كما يفيض الغَرب [٥٠] دمعي
يقول العاذلون : نأت فدَعها وذلك حين تَهيامي وَوَلَعي
أأهجرها وأقعدُ لا أراها وأقطعُها وما همَّت بقطعي
وأقسمُ لو حلمتُ بهجرِ هندٍ لضاق بهجرِها في النَّوم ذرعي [٥١]

ويودّع جميل حبيبته ، وقلبه وجلٌ من عدم لقائها مرةً أُخرى ، ولعلّ خَوفه هذا كان مبرّراً ، لخشيته من نزول المنيّة التي لارادّ لها سوى الله سبحانه ، وفي نفسه حاجات يَودّ أَن تَعرفُها الحبيبة ربما حدثت له بغيابها عنه او ربما أكنّها في نفسه الى أن يحين البوح بها ،يقول :

الم تعلمي ياعذبة الرّيق أنني أظلُّ إذا لم ألقَ وجهكِ صاديا
لقد خِفتُ أن ألقَى المنيّة بغتةً وفي النفس حاجاتٌ إليكِ كما هيا [٥٢]

وقد أذهب وداع الحبيبة عند عمر بن أبي ربيعة لذّة العيش وجمال الأشياء ، يقول مذكّراً إياها بذلك لعلّها تترك أمر ارتحالها وتواصلُه :

فإذا ما انصرفتِ لم أرَ للعي شِ التذاذاً ولالشيءٍ جَمالا
أنت عيشي نعم ورؤيتك الخُل دُ وكنت الحديث والأشغالا (٥٣)

ولعلّ من أشد حالات توديع الأحبة ، عندما يكون بالإشارة واللّحاظ ، لعدم قدرة اللّسان على القول ، لِهول الموقف وعِظم المصيبة ، هذا ما طالعنا به عمر بقوله :

أشارت إلينا بالبنان تحيّةً فردّ عليها متثل ذاكَ بنانُ
فقالت وأهلُ الخيف قد حان منهم خفوفٌ وما يُبدي المقال لِسانُ(٥٤)

ويؤكّد لنا جميل بن معمّر حين وداع الحبيبة من أنّه لو خُيِّر في أن يُخلّد في الحياة الدنيا أبد الآبدين من دون بثينة ، لرفض ذلك واكتفى بساعة واحدة من اللقاء والتواصل تجمعه مع الحبيبة من دون مراقبة الواشين ، ولعل هذا ما يؤكّد لنا صعوبة الحال الذي يمّر به الشاعر حين دنا وقت الرحيل ، يقول مصوراً ذلك :

مضى لي زمانٌ لو أُخيَّرُ بينه وبين حياتي خالداً آخِرِ الدّهرِ
لقلتُ ذَروني ساعةً وبُثينةً على غفلةِ الواشين ثم اقطعوا عمري(٥٥)

ويودّع عمر حبيبته وبتوديعه لها يعلن فقده لصبره واتزانه ، مظهراً جزعه شاكياً ألمه وبكاءه ، يقول :

لمّا رأيت مطيها حزَقاً خفقَ الفؤاد وكنت ذا صَبرِ
وتبادرت عيناي بعدهُمُ فانهلّتا جزعاً على الصّدرِ(٥٦)

نستنتج من خلال ذلك أنّ موقف الشاعر هذا تجاه الحبيبة لم يكن لولا إباؤها وتمنّعها، فهما اللّذان ألهبا مشاعر المحبين واستثارا خيالهم ، ففاضت قرائحهم بهذه العاطفة الجياشة والتي أظهرها جميل وعمر من خلال الشعر ، وجسّدا من خلالها حالهما وما يمرّان به من وجدٍ وصبابةٍ ، لذلك قيل إن المرأة لو تبذّلت فلانت واسمحت لجَنت جذوة الشعر ولَنضب معينه ، فامتناع الحبيبة هو سرّ هذه الحرارة في الحبّ وصدق المشاعر في القصيدة ، وهذا الغناء في سبيل العشق والهيام (٥٧) .

ثانياً : وداع الشباب:-

لم يخشَ الشعراء قديمهم وحديثهم بعد خشيتهم من الموت شيئاً كخشيتهم من إدبار الشباب ونزول المشيب ، لكون المشيب يشكّل عندهم مظهراً من مظاهر جور الزمان على الإنسان ولكونه مصدرٌ للأحزان الإنسانية بشكل عام وهو فضلاً عن ذلك شعورٌ بأن الأوان قد فات وأن اللعبة قد انتهت وإن المسرح من الآن فصاعداً أصبح لجيل آخر [٥٨] ، ولاغرو في ذلك مادام الشباب يمثل الحياة بأكملها هذا ما أكّده الميداني حين ذهب الى القول من إن الشباب يعدُّ قبالة الحياة في حين نظر الى المشيب على أنه قبالة الموت [٥٩] ، أما ابن عباس فان الشباب عنده يمثل الدنيا حين ذهب الى القول بأن الدنيا الصحة والشباب [٦٠] ،لذلك راح شاعر الغزل الأموي يشكو ذهاب شبابه ويبكي أيامه فيه ، لأنّ فيها اللهو والصّبا واللقاء بالحبيبة ، يبكيه بكاءً كلّه حرقةً وألماً ، هذا ما طالعنا به أحد الأعراب حين سُئل عن سبب الإجادة في الأشعار التي تندب الشباب وتذكّر بأيامه ، فقال: " إنا نقولها بقلوب حزينة تخفق وأكباد موجعة تحترق " [٦١] ولعلّ جميل بن معمّر كان من هؤلاء الشعراء الذين بكوا شبابهم وتحسّروا على صباهم بحرقة قلب وحرارة فؤاد ، حين ذكّرته منازل أحبّته التي أضحت مقفرةً خالية من ساكنيها ، ذكّرته بهم وبأوقات لقائهم والحديث معهم ، يقول :

إنّ المنازل هيّجت أطرابي واستعجمت آياتها بجوابي
قفراً تلوح بذي اللّجين كأنها أنضاء رسمٍ او سطورُ كتابِ
لمّا وقفتُ بها القلوص تبادرت منّي الدموع لفرقةِ الأحبابِ
وذكرتُ عصراً يابثينة شاقني وذكرتُ أيّامي وشرخ شبابي [٦٢]

ويودّع عمر بن أبي ربيعة شبابه ويستقبل ضيفاً غير مرحب به ، ذلك الضيف الذي جعل النساء الغانيات يعرضن عنه بعد إن كنّ في عهد الشباب يَسعين نحوه ، حين يسمعن صوته او يريانه ، يقول مصوراً حاله عندما جار الزمان عليه ، فأخذ منه شبابه :

رأين الغواني الشيب لاح بعارضي فأعرضن عنّي بالخدود النواضرِ
وكنّ إذا أبصرنني أو سمعنني سَعين فرقّعن الكُوى بالمحاجرِ [٦٣]

ويردِ المعنى ذاته عند جميل بن معمّر بقوله :

تقول بثينة لما رأت فنوناً من الشَّعَرِ الأحمر
كَبرتَ جميلُ وأودى الشبابُ فقلت : بُثين ألا فاقصرُي ! (٦٤)

ولعلّ هذا موقف طبيعي من قِبل المرأة لِما للشيب على نفسها من " وقعٍ شديد طالما تعرّض له الشعراء فصّوروها فازعةً لمنظره أو متجاهلةً لوجوده " (٦٥) ، فضلاً عن ذلك فإن المرأة تُظهر سخريّتها ورفضها للشاعر الأشيب ، ولعلّها تبرّر ذلك بعدم قدرته على مواصلة حياته الاعتيادية من لهوٍ ومرحٍ وتصابي تجاهها ، ولعل هذا أقسى شيءٍ تُواجه به المرأة الرجل ووجهة نظر قاصرة تجاه تقدّم العمر .

ويستمر عمر بن أبي ربيعة في توديع شبابه الذي انقضت مرحلته ولم يقضِ عمر من لذّاته إلاّ بعضها ، تلك المرحلة المحمودة من سنيِّ عمر ، والتي ولّت وحلّت محلّها مرحلة الشيب والشيخوخة يقول مصوراً ذلك الحال :

أمسى شبابك عنّا الغضُّ قد رَحَلا ولاحَ في الرأس شيبٌ حلَّ فاشتَعَلا
إن الشباب الذي كنّا نُزَنُّ (٦٦) به ولّى ولم تقضِ من لذّاته أَمَلا
ولَّى الشباب حَميداً غير مُرتجعٍ واستبدل الرأس مِنّي شَرّ ما بُدِلا
شيبٌ تفرّع أبكاني مواضِحُهُ أضحى وحال سوادُ الرأس فانتقلا(٦٧)

ويودّع جميل شبابه ، رابطاً بين زمنه أعني زمن الشباب وبين وصال حبيبته ، لذا راح يتمنى عودته ، لأنّ بعودته تعود بثينة وأيامها الجميلة ، لكنها أمنيةٌ هيهات أن تتحقّق ، يقول :

ألا ليت ريعان الشباب جديدُ ودهراً تولّى يابُثينَ يَعودُ
فنبقى كما كنّا نكون وأنتم قريبٌ وإذا ما تَبذلين زهيدُ (٦٨)

ويودّع عمر شبابه بألم وبكاء شديدين ، لأن الموت تابعه ولاحقٌ به ، هذا يعني أن انتهاء مرحلة الشباب عند عمر تعني اقتراب موعد فنائه ، وجرس إنذار يعلن قرب الرحيل يقول مجسداً ذلك الموقف :

أودى الشباب وأمسى الموت يخلُفُه لامرحباً بمحلِّ الشيب إذ نَزَلا
ما بال عِرسيَ قد طالت مطالبتي أمست تَجنَّى عليَّ الذنب والعَلِلا (٦٩)

وهناك الكثير من المواقف التي صوَّرها الشاعران ، ودّعا من خلالها شبابهما ، لا يتّسع المجال لذكرها[٧٠].

نستنتج من خلال ما تقدّم أن تمسك شاعر الغزل بمرحلة الشباب ما هو إلاّ صورة من صور التمسك بالحياة ، لأنّ الحياة عندهم " ليست مجرد أيام تتوالى وسنين تنقضي ، وإنّما هي قدرة وممارسة وشروع ومحاولة لتحقيق ذلك الشروع "[٧١].

كما يتضّح لنا كذلك إن إدراكهم لهذه الحقيقة القاسية اعني انتهاء مرحلة الشباب جعلهم أكثر إحساساً بأعمارهم ، لذلك ظلّوا أقوياء الشعور بهذه المرحلة العمرية ، والحديث عنها في أشعارهم ، مدركين أهميتها ، وأنها الفرصة التي لا يمكن تعويضها ، وما يمضي منها لا يعود أبداً [٧٢]، ولا أرى شاعر الغزل مبالغاً في ذلك ، لكون الشباب أثير لديه فُجع به فرثاه في كل وقت من أوقات الزمن ، فكل نظرة تذكره بطراوة شبابه وكل لهوٍ يعيده الى مراجع صباه ، وكل جميل يتمارى أمام ناظريه يشعره بحرمانه منه كل ذلك بفعل تقادم الزمن[٧٣] الذي أصبح كفيلاً بطيِّ مرحلة الشباب وما فيها من لهوٍ وتصابي .

ثالثاً : وداعُ ما مضى من الزّمان :-

من الأمور التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بظاهرة الوداع عند شعراء الغزل الأموي، مسألة الزمان ، فهي من أهم المسائل التي لعبت دوراً كبيراً في بناء أشعارهم ، بل إن العديد من المواقف الفكرية والنفسية والشعورية لديهم قد ارتبطت بالزمان ارتباطاً عضوياً، بحيث يصعب علينا أن نفسرها او أن نجد لها مسبباً بعيداً عن هذه المسألة الكونية .

ومادام شاعر الغزل في العصر الأموي كسائر الشعراء عاش حياةً ملؤها الذكريات منها ما هو ايجابي ومنها ما هو سلبي ، وارتباط تلك الذكريات كما هو معروف بماضي الزمان ، حتى أصبحا (تلك الذكريات وذاك الزمان) ، جزءاً لا يتجزأ من حياته ، لذا نراه يلجأ إليهما حين يجور عليه الزمان ، فهي بمثابة السلوى الوحيدة التي يلجأ اليها في أوقات المحنة والفراغ ، ولاسيّما العاطفي منه ، لذلك عمدت جميع النظريات السايكولوجية الى التشديد على العلاقة بين الماضي والذات الشاعرة ، كون الماضي يخلف

عن غيره من الأزمان من أنه يترك ذكريات وآثاراً تعجُّ بها الأيام في حين يخلو غيره من ذلك كلّه (٧٤) ، ونتيجةً لهذه العلاقة الوطيدة بين ماضي شعراء الغزل وذواتهم ، لذا نجدهم يتألمون على انقضائه ، متحسرين على عدم انبعاثه مرّةً أخرى ، فهذا جميل بن معمّر ، يتحسّر على زمانه المنصرم الذي ذهب الى غير رجعةٍ ، ذلك الزمان الذي كان يجمعه بحبيبته إلاّ إنّ حاضره شهد فراقها ، فقال مصوراً حاله :

لما دنا البينُ ، بين الحيِّ واقتسموا حبل النوى فهو في أيديهم قِطَعُ
جادت بأدمُعها ليلى وأعجلني وشك الفراق فما أُبقي وما أَدعُ
ياقلب ويحكَ ما عيشي بذي سَلَمٍ ولا الزمان الذي قر مرَّ مُرتجعُ
أكلّما بان حيٌّ لا تلائِمهم ولا يُبالون أن يشتاق من فجَعوا (٧٥)

ويتذكَّر عمر بن أبي ربيعة أيامه الماضية التي قضاها مع حبيبته بوادي الشَّري وكثيب الأمر ، تلك الأيام التي وصفها (**بالأُمنية**) وحفظ السّر يقول واصفاً حاله بعد توديعها :

تذّكرتُ بالشري أيّامنا وأيامنا بكثيب الأمرَ
ليالي يجري بأسرارنا أمينٌ لنا ليس يُفشي لِسِر (٧٦)

ويودّع عمر في موضع آخر ماضيه ، ولم تقضِ نفسه منه حاجاتها ورغباتها ، مما جعله يذرف الدمع ويتألم ، لخلو واقعه منه ومن أجوائه ، يقول :

تذكّرتُ هنداً وإعصارها ولم تقضِ نفسك أوطارها
تذكّرت النفسُ ما قد مضى وهاجت على العين عُوّارها (٧٧)

لعلّ عمراً في هذا النص ، والذي سبقه أصبح زمنين متناقضين في كل شيء (**زمن حاضر**) زاخرٌ بالقلق والتوترات ، وآخر(**ماضٍ**) زاخرٌ بالحيوية والعنفوان ، لذا فإنّ محاولة استذكار الماضي ما هي الاّ محاولة خلق جوٍّ من التوازن ، على الأقل على الصعيد النفسي لينقذه من واقعه المتأزّم (٧٨) .

ويتمنّى جميل بن معمّر بعد وداعه المرّ لماضيه وأيامه السالفة ، يتمنى رجوعها حتى يعود لنفسه استقرارها وتوازنها الذي تخلخل بفعل ذلك التوديع ، يقول :

ألا ليت أياماً مضين رواجِعٌ وليت النّوى قد سَاعدت بجميلِ (٧٩)

وينقل لنا عمر مشهداً حوارياً بينه وبين شخص يسائلُه عن سبب تركه اللّهو والتصابي ، هل كان من اختياره؟ ام إن زمنهما ذهب وانقطعت به السُبل فأجاب بحسرةٍ وألمٍ ، بل إنّ زمن تلك الأفعال والمغامرات قد ودّعناه الى غير رجعةٍ ، بعد إن شطّ مَزار سلمى وبعدت أوطانها ، يقول مصوّراً ذلك :

سألتني : هل تركت اللّهو ، أم ذَهَبتْ أزمانه فانقطعا
قلتُ : لا بل ذهب الدهر الذي كنت أسعى معه حيث سَعَى
ذاك إذ نحن لِسلمى جيرةٌ لا نُبالي مَن وشى أو سمَّعا (٨٠)

ولعلّ توديع عمر لزمانه الماضي وأيامه السالفة ، جعلاه يطلب من خَليليه أن يأتيا معه ساعةً ، يسلّمان على طَلَلَه ويبكيانه إلاّ إنّنا نراه في نهاية المطاف استسلم لقدره وواقعه حين تساءل بتعجب من إن البكاء والحزن على ما مضى لا يُرجعن غائباً ولا يُعدن ما تولّى واندثر ، يقول :

خليليَّ عوجا بنا ساعةً نُحيِّ الرسوم ونؤيَ الطَّلَل
ونبكِ وهل يُرجعنَّ البُكا علينا زماناً لنا قد تَولّ (٨١)

هذا هو حال عمر ، لاشيء يقضي حاجاته ويشبعها ولا سبيل الى ذلك ، سوى ذلك الزمان الذي مضى ولم يبقَ منه الاّ الرسوم والذكرى لذا نرى شاعرنا قد اتخذ البكاء وسيلةً نفسيةٍ يداري به ارتباكاته أمام حاضر أيامه ولعلّ هذا ما يفسّرُ لنا ارتماء ابن أبي ربيعة في أحضان ماضيه لكونه أصبح عنده حاجة نفسيةً أقل ما يقال فيها " أنها تضع الإنسان في موضعه الاجتماعي وترفع من قدره " (٨٢) .

ويعلن عمر في موقف آخر حين ودّع ماضيه وما فيه من ذكرى ، عن توديعه لذائذ العيش وطيب الإقامة ، يقول :

في زمانٍ من المعيشة لَذٍّ قد مضى عصره وهذا زمانُ(٨٣)

ونجد المعنى ذاته في شعر جميل بن معمّر ، حين رهن حياته كلّها بما مضى من الزمان ، وما الآتي عنده إلاّ مماتاً بطيئاً(٨٤).

نستخلص مما تقدم إن ذهاب شعراء الغزل في العصر الأموي هذا المذهب في توديع ماضيهم والإعلاء من شأنه ، ما هو إلاّ محاولةً لإعادة التوازن النفسي أمام واقع

مؤلمٍ مشحون بالقلق والتوتر والآهات [٨٥]، فهم يعيشون واقعاً مرّاً يخلو من كل متطلبات الحياة على الصعيد النفسي والشعوري ، لذا فهم في واقعهم وأمام زمنهم كمن قيل عنه أنّه على سفرٍ دائمٍ لكن دون جدوى من سفره فهو لا يحمل الحقائب مثل المسافرين بل يحمل الآهات والأحزان وعجزه عن مسايرة الحياة [٨٦] لذا فالرغبة الجامحة من قبل شعراء الغزل في تحقيق هذا التوازن النفسي أمام واقعهم لم تكتمل ولن تَتَحقّق ما لم يكن هناك عودة الى الماضي ، فهو عندهم " عنصرٌ جوهريٌ في الخيال الخلاّق "[٨٧] ، لذلك فلاغرو على جميل وعمر من أَن يصوّرا ماضييهما بهذه الصورة الجميلة ، حين ودّعاه وحين افتقدا وجوده في حاضرهم ، لما حقّقه لهما من سعةٍ في متطلبات العيش وفسحةِ أملٍ رحبةٍ في الحياة ...

رابعاً : وداع الجيران والأصدقاء:-

لم يكن أثر وداع الجيران والأصدقاء على نفس شاعر الغزل الأموي ، أقلّ شأناً من أنواع الوداع الأُخرى التي شهدتها حياته ، بل كانت أكثر إيلاماً واشّد تأثيراً على نفسه، لذا نراه يبدي حزنه ويذرف دموعه ويعتصرُ قلبهُ على مَن فارقه من الجار والصديق ، فهذا جميل بن معمّر يودّع جيرانه والليل مكتسٍ بالسواد ، ثم أخذ يبيّن لنا حاله حين أذن غراب البين معلناً بالرحيل ، بأنَّ رحيلهم صدع قلبه وجعله مشدوداً إليهم متلهفاً لرؤيتهم ، يقول :

رحل الخليطُ [٨٨]جمالهم بسوادِ وحَدا على إثرِ الحبيبة حادِ
ما إن شعرتُ ولا علمت ببيهم حتى سمعتُ به الغراب يُنادي
لمّا رأيت البين قلتُ لصَاحبي : صَدَعت مُصَدِّعة القلوب فؤادي
بانوا وغُودِرَ في الديار متيَّمٌ كَلِفٌ بذكرك يا بثينة صادِ[٨٩]

ويودّع عمر بن أبي ربيعة جيرانه ، ويجعل مع توديعهم انشقاق نفسه وفقدها توازنها ، يقول مجسّداً ذلك :

إنّ الخليط تصدّعوا أمسِ وتصدَّعَت لفراقهم نفسي
ووجدتُ وجداً كان أهونه كاشدّ وجدِ الجنّ والأُنسِ
وتشتّت الأهواء يُخلجُني نحو العراق ومطلعِ الشمس[٩٠]

ويستمر عمر بتوديع جيرانه ، وقلبه يرتجف خوفاً من عدم اللّقاء بهم مرةً أُخرى ، مشيراً الى أنه لم يعتد على فراقهم والعيش من دونهم ، الأمر الذي جعله يصوّر لنا حاله عند الوداع معبّراً عن ذلك الحال من خلال الدموع والأحزان والآلام ، يقول :

بان الخليطُ وبينهم شَغَفُ والدار أحياناً بهم قَذَفُ
ما عوّدوك بنأي دارهم قُربَ الجوار ففيمَ تلتهفُ
ولقد ترى أن لا يذلّلها أن الفؤاد بذكرها كَلِفُ
زعموا بأن البين بعد غدٍ فالقلبُ ممَّا أزمعوا يجِفُ(٩١)

ويودّع عمر جيرانه ويدعو قلبه أن يصبر ، وأن يحافظ على توازنه ، لكي لا يقلّل ذلك من أهميته ، يقول :

قرّب جيراننا جمالهم ليلاً فأضحَوا معاً قد اندفعوا
ما كنت أدري بوشكِ بينهم حتى رأيت الغداة قد طلعوا
قد كاد قلبي والعين تبصرهم لمّا تَوارَوا بالغورِ ينصدعُ
يا قلب صبراً فإنّه سفهٌ بالمرء أن يستفِزَّه الجزع (٩٢)

يتّضح لنا فيما تقدّم أن شعراء الغزل الأموي عبّروا عن فقدهم لجيرانهم وأصدقائهم بعبارات كلها ألم وصورٍ كلّها دموع وآهات ، فلم تعدّ الكتابة لديهم معجميةً قاموسية ، بل أصبحت مأخوذةً من لغة الأحزان ومعجم الدموع والآهات ، وهذا إن دلّ فأنه يدلّ على عظمة منزلة الجار والصديق في نفوسهم ، وصعوبة العيش من دونهم ، لأن بهما " تنجلي الأحزان ويقصر الزمان وتطيب الأحوال " (٩٣) .

الفصل الثالث : آثار الوداع :

توطئة :

ما من ظاهرة تمرّ على البشر ، إلاّ وتركت بعض الآثار وراءها ، ولعلّ ظاهرة الوداع عند شعراء الغزل الأموي ما هي الاّ واحدةٌ من هذه الظواهر قد خلّفت جملةً من الآثار والمظاهر في نفوسهم وأثرت على سير حياتهم ولقد تعددت هذه الآثار فمنها النفسي ومنها الصّحي ومنها الاجتماعي ومنها الجغرافي وسنختار اثراً واحداً على كل نوع من هذه الآثار تجنباً للإطالة ...

أولاً : الأثرُ النّفسيُّ ،وعليه (الأرق وطول الليل):

لقد أشار ابن منظور الى لفظة الأرق فرأى أنها " السهر وذهاب النوم بالليلة ، لعلّ ما " [٩٤] ، ولقد تعدّدت درجات الأرق فمنها الشديد ويتمثل بامتناع النوم امتناعاً تاماً ، ومنها الأقل من ذلك ويتمثل بانقطاع النوم بين الحين والآخر بواسطة اليقظة [٩٥] ، ومن الواضح إنّ الشعور بالأرق وطول الليل ما هو إلاّ أثرٌ من الآثار النفسية الناشئة من أمور متعددة منها ، الحب والحنين والاغتراب ووداع الحبيب والصديق والمرض وما شاكل ذلك ، ولعلّ هذه الأمور مجتمعة تعمل على إطالة ليل الشاعر وثقل زمانه ، نفسياً لا واقعياً ، هذا ما نجده عند شعراء الغزل الأموي حين أخذوا يشعرون بتطاول لياليهم وتأريق نفوسهم ، نتيجة لما يمرّون به من حالةٍ نفسيةٍ متأزمة ، أو جدها الوداع ، الأمر الذي طالعنا به جميل بن معمّر ، حين جعل ليله طويلاً او يتطاول بفعل فراق الحبيبة ، يقول :

لقد جعل اللّيل القصير لنا بكم عليَّ لروعات الهوى يتطاولُ[٩٦]

ويطول ليل عمر بن ابي ربيعة وتؤرق نفسه حين تذكّر موضعاً معيناً " منزل الخرب " ذلك الموضع الذي جمعه بحبيبته وشهد توديعهما ، يقول :

يا طول ليلي وآب لي طربي لمّا تذكّرت منزل الخرَبِ [٩٧]

ويتذكّر عمر حبيبته في موضع آخر فطال ليله واعترته الهموم ولازمه السهر ، يقول مفصحاً عن حاله :

طال ليلي فما أحِسُّ رقادي واعترتني الهموم بالتّسهادِ
وتذكرتُ قول نُعمٍ وكان الذّ كرُ منها ممّا يَهيجُ فؤادي[٩٨]

لعلّ إحساس عمر في هذا النص والذي سبقه ما هو إلاّ إحساس نفسي وشعوري في الوقت نفسه ، بطول الليل وتسمُّر ساعاته ، لأنّ الليل لا يطول ولا يقصر واقعياً ، وانما الإنسان هو الذي " ينبسط به الطول والامتداد الى اللانهاية فيما يشعرُ أنّ نفسه ادلهمت باليأس والحزن والألم " [٩٩]

ويعلن جميل بن معمر عن سبب أرقه وجفاء النوم من عينيه ، أنه من فراق الحبيب وشدّة الاشتياق اليه وتذكّره ، يقول مؤكّداً ذلك :

منع النم شدّة الاشتياق وادّ كار الحبيب بعد الفراق (١٠٠)

فهذا هو ليل جميل ، ليلُ مَن منعه القدر من اللّقاء مع الحبيب لذا ظلّ متلهفاً لرؤيته مشتاقاً للحديث معه ، وهذا هو حال الشاعر العاشق ، شاعر تسامره الهموم وتعانقه الآهات ويكتحل عيناه بالسهاد والأرق ويفترش القتاد ، فاكتحل بملول السهر وتململ على فراش الفكر(١٠١) ، الحال الذي وجدناه كذلك لدى عمر بن أبي ربيعة عندما أعلن عن ملازمة نفسه للأرق والسهر ببعاد الحبيبة ، يقول معضّداً قوله بالقسم بالله :

بالله ما نمتُ من نوم تقرُّ به عيني ولازال قلبي بعدكم كَمِدا (١٠٢)

ويطول ليل عمر ، لا لفراق الحبيبة وتوديعها فحسب ، بل يطول ليل اليوم الذي لايرى فيه الحبيبة وبالمقابل يقصر حين يراها ويتحدّث معها ، يقول :

يطول اليوم فيه لا أراكم ويومي عند رؤيتكم قصيرُ(١٠٣)

فعُمَر في هذا البيت أعلن بوضوح تام من أن سهره وطول ليله وأرقه سببه المرأة الحبيبة كونها عنده " حاجةً نفسيةً كما هي حسّية جسديّة ، تَحلَوّلَك الحياة من دونها ويختلُّ ميزان الوجود ... فَغَدا الأمر علاقة لا احتمال على قطعها "(١٠٤).

ولعلّ شدّة أرق جميل بن معمّر جعله يتمنّى على نحوٍ مستمر أن ينام او أن تأتيه سنةٌ من النعاس ، لعلّه يهيءُ له لقاءً في عالم الأطياف مع حبيبته ، ليتحقّق له نوعاً من الارتياح النفسي ، يقول :

وإني لأستغشي وما بي َ نَعسةٌ لعلَّ لِقاءً في المنام يكونُ(١٠٥)

لعلّ جميلاً في هذا البيت ، لجأ الى طيف الخيال يستعطفه ويَتودَّدُ إليه ليحقق له بعض الرغبات المكبوتة في نفسه ، والتي تعذّر على الواقع تحقيقها ، لكون الطيف " نوع من الخداع النفسي وهو يستدعي الراحة للنفوس القلقة " (١٠٦).

يتبيّن لنا فيما تقدّم أن اللّيل لدى شاعر الغزل الأموي تحوّل بفعل وداع الأحبة وفراقهم من ملهمٍ للشعر وزمان للّقاء والتواصل الى شَبحٍ يُعذّبه ويُثير أحزانه .

كما تبيّن لنا كذلك أن الوداع الذي اثّر على نفس شاعر الغزل الأموي فجعل ليله يطول ونفسه مؤرّقة على فَقْد الحبيب كان ملهماً له شعرياً ، وكان علاوةً على ذلك سرّاً كامناً في مِثل هذا الإبداع الشعري .

ثانياً : الأثرُ الصّحّيُّ ،وعليه (السّقم ونحول الجّسم) :-

لم يقتصر أثر الوداع على شعراء الغزل الأموي نفسياً ، بل تعدّاه إلى أن يكون صحياً كذلك ، كأثر السقم ونحول الجسم الواضحين على جسد الشاعر المودِّع لأحبته ، ولعلّنا نجد تأكيداً لذلك عند رسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله) حين بيَّن اثر الهمّ والحزن على نفس الشاعر بقوله : " من كَثُر همُّه سقم بدنُه " [١٠٧] ، كما ذكر ذلك أحد النفسانيين حين ذهب الى القول : بأَنّ الهمّ يذيب الجسد بل هو المرض بعينه [١٠٨] ، ولعلّ هذا الهمّ الذي خيّم على نفوس شعراء الغزل الأموي وشعورهم متأتٍ كما هو معروف من وداع الأحبة ومفارقتهم لذلك فأن من أُولى علامات الحبيب في توديعه لأحبته " نحول الجسم وطول السقم واصفرار اللون ..... "[١٠٩] ، هذا ما نجد مصداقه في شعر جميل بن معمّر حين فارقه أحبته فأصبح بفراقهم سقيماً نحيلاً بالي الجسم ، يقول مصوراً ذلك :

لقد ذَرَفتْ عيني وطال سُفوحها وأصبح من نفسي سقيماً صَحِيحُها[١١٠]

أمّا عمر بن أبي ربيعه ، فقد أكّد بأن وداع حبيبته وفراقها خلَّف في جسمه مرضاً بين الضلوع بين قلبه وبطنه ، يقول شاكياً حاله لرفيقيه :

واعلما أنّني أصبتُ بداءٍ داخلٍ في الضلوع دون الحجاب[١١١]

لقد تناهى عمر في حبّه للمرأة ، كما هو واضح من البيت أعلاه ، الأمر الذي جعله يكثر الشكوى من صدودها عنها وعدم المبالاة من جانبها ، ويبدو أن عمراً اضعف من أن يحتمل صدودها وهجرها طويلاً وهو في أوفى عهدٍ لها ، الأمر الذي أحدث تصدعاً على صحّته وكما أشار اليه في نصّه .

ويرى عمر في موضع آخر أن السقم الذي خلَّفه فراق الحبيبة ليس كالأسقام المعروفة ، بل هو سقمٌ تمظهر بشكل سهامٍ صوّبن نحوه فقتلنه وعذّبنه ويقول مبيناً ذلك :

قد أصاب القلب من نُعم سُقمُ داءٍ ليس كالسُّقمِ
إنّ نعماً أقصدت رجُلاً آمناً بالخيف إذ تَرمي [١١٢]

لعلّ اختلاف سقم عمر في هذا البيت عن الأسقام الأخرى المعروفة لديه ، ما هي إلاّ إشارةٌ بصعوبة استطبابه والسيطرة عليه ولعلّ تلك الصعوبة متأتيةٌ " من قبل اختلاف عِلَله " (١١٣) وتعدّدها .

أما جميل بن معمّر فأن أمراض جسمه نتيجة وداعه لحبيبته **(ليلى)** معلومة الدواء ومعروفة الاستطباب ، وتتمثل برجوعها اليه وتواصلها معه ، ولكنّ ذلك لن يتحقّق ، كون وصالها ورؤيتها أصبحا ذنباً عليهِ ، عليهِ أن لايقترفهما ، يقول :

وقالوا : به داءٌ عياءٌ أصابه وقد علمت نفسي مكان دوائيا
أمضروبةٌ ليلى على أن ازورها ومتَّخِذٌ ذنباً لها أن ترانيا (١١٤)

وقد ارتبط حديث شعراء الغزل الأموي عن الأسقام التي أصابت نفوسهم بفعل توديع الأَحبّة ، ارتبط بحديثهم عن نحول أجسامهم ، الأمر الذي طالعنا به عمر بقوله :

ضنّت بنائلها عنّا فقد تركت من غير ذنبٍ أبا الخطّاب مختلجا(١١٥) (١١٦)

فنحن إزاء هذا البيت نلمس عمق المعاناة التي يعانيها الشاعر ، فضلاً عن ذلك فإننا نلمس كذلك مدى التأثير الذي خلّفه فَقْد الأحبة ووداعهم على جسده حتى جعل لحم وجه قليلاً بفعل أحزانه وعذاباته النفسية .

ويشعرنا جميل بن معمّر بالأمر ذاته حين ودّع أحبته ، فأصبح جسمه بفعل بعادهم هزيلاً نحيلاً حتى جعلا من جميل منكراً لنفسه ، لبشاعة المنظر واختلاف الصورة ، يقول:

أمنصفتي جُملٌ فتعدلَ بيننا إذا حَكَمت والحاكم العدلُ يُنصفُ
الى اليوم حَتَّى سلّ جسمي وشفّني وأنكرتُ من نفسي الذي كنتُ أعرِفُ (١١٧)

ويوغُل عمر في وصف حاله بفعل وداع أحبّته ، فراح يتحدث عن أسقامه التي لم تقف عند حدّ الهيأة الخارجية فحسب من " شحوب ونحول واصفرار وضعف شديد وعلل أخرى لا تُحصى بل يخترق العظم فيبدو صاحبه هيكلاً من خيوط عنكبوتية مُدرج في الأحياء وهو في الأموات "(١١٨) يقول مبيناً ذلك :

يا خليليَّ عادني اليوم سُقمي فَبرى داؤه لِحيَني عَظْمي
لِمُصرٌ أصرَّ واستكبر اليوم وظنّ الصدود ليس بِظلمِ(١١٩)

وعلى هذه الشاكلة أخذ الوداع من شعراء الغزل الأموي مأخذاً كبيراً في نفوسهم وأجسادهم ، حتى براها وسلَّها وأحالها الى أجسامٍ مريضةٍ لا حياة فيها سوى انتظار أجلها ، أو أن يأذن القدر لها بمعاودة إدراج تواصلها مرة أخرى .

وبذلك يصبح الفراق والتوديع معادلاً موضوعياً للحب والهيام ، فكلاهما يُصيب الذي يتعامل معهما بالسّقم والأذى ونحول الجسم وشحوبه ، ولعلّ هذا صورة من صور الاحتراق النفسي والجسدي لأجل ذلك الجمال الذي لم نحضَ منه إلاّ بيوتوبيا الارتواء وأوهامه ...

ثالثاً : الأثرُ الاجتماعيُّ ،وعليه (انقطاع التواصل) :

يعدُّ انقطاع التواصل من أهم الآثار التي أخذ يعاني منها شاعر الغزل الأموي بفعل توديع أحبته ، ذلك الوداع الذي لم يكن مسيطراً على أسبابه ودوافعه من قبل المعنيين به أعني المودِّع والموَّدع لذلك أخذ شاعر الغزل الأموي يرزخ مثقلاً بهذا الأثر ، لما يجلبه له من آهات وزفرات وأحزان لما للتواصل من أثر فعاّل على النفس البشرية عموماً ونفوس الشعراء على وجه الخصوص ، لذا فلا غرو من أن يقال أن الدنيا لو لم تكن " دار ممرٍ ومحنةٍ وكدر ، والجنة دار جزاء وأمان من المكاره ، لقلنا إن وصل المحبوب هو الصفاء الذي لا كَدَر فيه ، والفرح الذي لا شائبة ولا حزن معه وكمال الأماني ومنتهى الأراجي ، ولقد جرّبت اللذات على تصرّفها وأدركت الحظوظ على اختلافها فما للدنوّ من السلطان ولا المال المُستفاد ولا الوجود بعد العدم ولا الأوبة بعد طول الغيبة ولا الأمن بعد الخوف ولا التروّح على المال من الموقع في النفس ما للوصل ... "[١٢٠] ولعلّنا نرى في هذا النص أَدق وصفٍ وابلغ تعبير وأوضح صورةٍ لكلّ ما قيل عن التواصل وأهميته بالنسبة للنفس البشرية .

بناءً على ما تقدّم ولما طُبعت عليه نوازع النفس الإنسانية من ميلها الى التواصل مع الآخر ، لتسكن اليه ولتتبادل معه الهموم ليشاركها تلك الهموم وليخفّف عنها أثقال الزمان ، كل تلك الأسباب جعلت شاعر الغزل الأموي يتألم لفقدان الركن الأساس في الحياة وهو التواصل ، هذا ما طالعنا به جميل بن معمّر ، حين رأى بأن حبل الوصل بينه

وبين بثينة قد انقطع برحيلها ولايمكن رجوعه ، الأمر الذي جعله يشبّهه بالخضاب في ذهاب لونه وبهته ، يقول :

ابثنةُ لَلوصل الذي كان بيننا نَضَا مثلما يَنضو الخضابُ فيخلق (١٢١)

أما عمر بن أبي ربيعة فنراه يتساءل عن أوقات قرب الحبيبة وتواصلها فرى أن ذلك مستحيلاً عليه مادام في روحه رمق من الحياة ، يقول مصوّراً حاله بعد انقطاع التواصل :_

أني بقربكم ام كيف لي بكم هيهات ذلك ما أَمست لنا روحُ (١٢٢)

ويؤكد جميل بن معمّر على انقطاع حبل الوصل بينه وبين حبيبته ، كون الرحيل والبعاد قد حال بينه وبينها ، لذا نراه يسلّي النفس ويدعوها الى الصبر وإيجاد البديل لمن أحبّهم ، يقول :

تُرجّي وصلُها بعد بُعدها وقد جُذّ حبل الوصل ممن تُؤَمَّلُ
وإنّ التي أحببت قد حيل دونها فكن حازماً والحازم المتحوّلُ
ففي اليأس ما يُسلي وفي الناس خلّةٌ وفي الأرض عمَّن لا يؤاتيك معزِلُ(١٢٣)

أما عمر فيرى أنّ كلّ وصالٍ غير وصالهم لا طعمَ له ولا لذّة فيه ويرى كذلك أن النأي والبعاد لا يمكن أن يطلقا إلاّ على نأي حبيبته وبعادها على حدّ قوله ، يقول مبيناً ذلك :

فليس لقربٍ بعد قربك لذّةٌ ولستُ أرى نأياً سوى نأيكم بُعدا(١٢٤)

ويشتدّ أثر البعاد وطول النأي على جميل بن معمّر ، فتتأزم نفسه ويتباطأ زمنه ، الأمر الذي جعله يتمنى أن يلقى حتفه ان كان يوم لقائهم لم يُسَمَّ ولم يقدر ، يقول :

يا ليتني ألقى المنيّة بغتةً إن كان يوم لقائكم لم يُقْدَر(١٢٥)

ولم يكن هجر الحبيبة ووداعها وبعد المسافة بينها وبين الشاعر ، وحده المانع للّقاء والتواصل بين المحبين ، بل أضاف إليهما عمر بن أبي ربيعة عنصراً آخر لا يقلّ شأناً عنهما ، تمثل بوجود الواشي ومَن بقلبه حُقدٌ وكراهيةٌ ، حيث عملا على تقوية الهجر وانقطاع الوصال ، الأمر الذي جعل الشاعر يشكك بمن يقول بلقائهما ويعمل على تكذيب ادعائه ، يقول :

نكذب مَن قد ظنّ أنا سنلتقي ونأمنُ مَن في صدره شنآنُ(١٢٦)

ويشرك عمر في موضع آخر ، الطبيعة في عذاباته التي أوجدها فراق الحبيبة وغرسها في نفسه ، فنراه كلّما أراد نسيانها او تناسيها ذكّره بها طير الحمام ، حين يدعو أقرانه ويحنُّ اليهم ، يقول :

على الهائم المشغوفِ بالوصل ما دعا كحمَام على أفنان دوحته وترا (١٢٧)

لعلّ الأمر الذي جعل عمراً يختار (**الحمام**) من بين عناصر الطبيعة بنوعيها (**الحيّة والصامتة**) كونه يقترن بكثير من الأحيان بحديثي البكاء والنواح ، إذ يُثير في هديله الشجي الأحزان ويُهيج لواعج البعاد والفراق (١٢٨)، فضلاً على ذلك فإن طير الحمام يشترك مع المرأة في الإنوثة والمأوى والتآلف وهي رمزٌ للودّ والحفاظ على العهد(١٢٩) . ولعلّ هذه المشتركات وتلك الصفات هي التي جعلت ابن أبي ربيعة يحرص اشدّ الحرص على أن تكون من صفات حبيبته ؛ ليرقّ له قلبها وينال رضاها ، ليكونا عوناً على الزمن وليقهرا سطوته .

يتبين لنا فيما تقدّم أن شاعر الغزل الأموي عبّر عن فراق حبيبته ووداعها له أفضل تعبير ، من خلال اختياره لتلك العبارات المشحونة عاطفياً ، والناطقة بالألم والحسرة والحرمان ، لِمَ لا يكون كذلك مَن كان المعزِّي هو المعزَّى ، لذا قيل ، إن اقدر الناس تعبيراً عن الشقاء والألم مَن كان الشقاء في نفسه وشعوره (١٣٠).

رابعاً : الأثرُ الجّغرافيُّ،وعليه (اندراس الدّيار) :-

لم يكن تأثير الوداع على نفسية شاعر الغزل الأموي وصحتّه فحسب ، فيما يتعلق بمرضه وطول ليله وأرقه وفي انقطاع تواصله بينه وبين المودَّع ، بل امتدّ تأثيره كذلك الى ديار المودَّع ، لتصبح بعد رحيله خاليةً موحشةً بلقعاً ، تلك الديار التي تجاوزت ماديتها عند شاعر الغزل الأموي ، لتصبح ممثلةً للحضور الإنساني في ذات المكان وشكلاً من أشكال تثبيت الحضارة في ميدان الصراع الحتمي بين الذات الإنسانية والبيئة الطبيعية ، ولعلّ التخلّي عن ذلك الحضور وعن تلك الحضارة إنما يعني الهزيمة بعينها(١٣١) ولعلّ هذه الحقيقة (**حقيقة ارتباط الشاعر بالديار**) جعلت شاعر الغزل الأموي يرى في اندراس الديار ، اندراس الحياة نفسها ، ولعلّ هذا وحده كافٍ لتفجير كوامن الحزن والأسى في نفسه ، الأمر الذي طالعنا به

جميل بن معمّر حين ذهب الى إنَّ منزل أحبَّته تعفّت رسومه وأصبح قفراً بعد إن كان مأهولاً بهم مأنوساً بوصالهم ، يقول :

أمِن منزلٍ قفرٍ تعفّت رسومه شمالٌ تغاديه ونكباء حَرجَفُ
فأصبح قفراً بعدما كان آهِلاً وجُملُ المنى تشتُو به وتصيّفُ
ظللتُ ومستنٌّ من الدمع هامِلٌ من العين لمّا عُجْتُ بالدار ينزِفُ (١٣٢)

فالشاعر رسم لنا في هذا النص ملامح الاستقرار (**منزل**) ؛ لينتقِل بعده الى تصوير مظاهر سقوط تلك الإرادة (**قفراً**) ، مما يدلّ على إن ساكني تلك الديار قد أُكرهت على التُرحال واضطرت الى ترك ديارها وما فيها من مظاهر الحضارة فريسةً للمكان الطبيعي ، تغزوها رياح الشمال الباردة الشديدة الهبوب حتى غدت أرضاً مقفرةً ورسوماً مندرسةً خاوية

ويطالعنا عمر بن ابي ربيعة بلوحة تصويرية لديار أحبتّه ، صوّر فيها منازلهم وقد خلت منهم ، وأصبحت مرتعاً للغزلان ، والبقر تتجوّل في ارجائها ، يقول :

منازلُ الحيِّ أَقوتْ بعد ساكِنها أمست ترود بها الغزلان والبقر
تبدّلُوا بعدما داراً وغيَّرها صَرفُ الزّمان وفي تكراره غِيَرُ(١٣٣)

فعُمَرُ حين جعل عودة الغزلان والبقر الى تلك الديار ، ما هو الاّ دليلٌ قاطعٌ على انحسار المدّ الحضاري من جانبٍ وهزيمة الوجود الإنساني من جانب آخر .

ويتساءل جميل بن معمّر عن امكانية زيارة ديار الأحبة بعد رحيلهم ، او عدم زيارتها كونها اندرست وانعدمت الحياة فيها بعد إن بَعُد أهلها وودّعوها ، يقول :

أتهجر هذا الربع أم أنت زائره وكيف يُزار الربع قد بان(١٣٤)**عامِرهُ**(١٣٥)

لعلّ تلك الروح المأساوية التي لازمت ديار جميل وغيره من شعراء الغزل الأموي بفعل خلوّها من ساكنيها ، جعلتنا ندقّق في الأمر كثيراً حتى تبيّن لنا أن ذكر الديار لا يمثّل الوقوف على أطلالها ورسومها التي انمحت بفعل سريان الزمن ، بل هو في الوقت ذاته " وقوفٌ على الشخصية الإنسانية المقهورة ورثاءٌ للحضور الانساني الذي هزمته البيئة في نهاية الأمر ، انها تصوير للصيرورة المحزنة التي يعجز الإنسان فرداً كان ام جماعة عن الإفلات عن قبضتها " (١٣٦) .

وتزيد ديار الحبيبة التي اصبحت أطلالاً ودمناً بعد هجرها لها ، تزيد قلب عمر بن ابي ربيعة ، علّةً على علاّته التي تعدّدت بفعل وداع الحبيبة وفراقها ، الأمر الذي جعلـــه يصوّر لنا هذين الأثرين (وداع الحبيبة ، واندراس الديار) يقول :

هل تعرف الدار والأطلالَ والدّمنا زِدن الفؤاد على علاّتِه حَزَنا
دارٌ لأسماء إذ كانت تحلُّ بها وأنت إذ ذاك إذ كانت لنا وطنا (١٣٧)

ويذهب جميل بن معمّر الى إنه حين رأى ديار أحبته وقد بان خرابها واندراســـها ، خفيَ الكلام عليه وصعبت حروفه تبعاً للموقف المهول الذي آلت إليه تلك الديار والذي لم يستطع أن يتحمّله ، يقول :

إنّ المنازل هيّجت أطرابي واستعجمت آياتها بجوابي
قفراً تلوح بذي اللّجين كأنها أنضاءُ رسمٍ أو سطور كتابِ
لمّا وقفتُ بها القلوص تبادرت مني الدموع لفرقةِ الأحبابِ(١٣٨)

فالشاعر وصف لنا في هذا النص حالين لمنازل أحبته ، تعامل مع الأول وأطمأنّ اليه ، واستغرب من الآخر ولم يطق النظر الى صورته ، ففي الأول يعلن انتصاره على الزمن بفعل اتحاد الحبيبة معه وفي الآخر أعلن هزيمته بفعل فراقها عنه ووحدانيّتهُ أمـــام صروف الزمن ، مما جعل الأيام والأعوام والأمطار والعواصف تشوّه منظره وتنال من مظهره ، إلاّ إن الشاعر لم يعلن انعدام تلك المنازل بشكل كامل ، بل عمل علـــى إبقـــاء بعض الآثار ك (**آياتها ، إنضاء رسم ، سطور كتاب**) ، لتظلّ شاهداً علـــى الحضـــور الإنساني في تلك المنازل .

ولم يكتف عمر بن أبي ربيعة بتحديد موقعٍ واحدٍ لديار أحبته التي صـــرت بفراقهـــا أطلالاً مندرسةً ، بل ذكر عدّة مواقعٍ لها كما في قوله :

حيِّ المنازل قد تركنَ خرابا بين الجُرير وبين رُكن كسابا
بالثني من ملكانِ غيَّرَ رسمها مَرُّ السحاب المعقباتِ سَحابا
وذيول مُعصفِة الرياح فرسمُها خَلَقٌ تُشبّهُهُ العيون كتابا
كَستِ الرياح جديدها من تربها دُقَقاً فأصبحتِ العِراصُ يبابا
ولقد أراها مرّةً مأهولةً حَسَناً نباتُ محلَّها مِعشابا

دارُ التي قالت غداة لقيتُها عند الجمار فما عييت جوابا (١٣٩)

ولعلّ هذا المذهب لم يأتِ به ابن أبي ربيعة وحده ، بل هو ظاهرة بارزةٌ في شعر الأطلال عموماً ، يؤتى به ليكون دليلاً على " كثرة الحلّ والتّرحال ، كثرة امتلاك الأوطان وفقدانها ويدلّ أخيراً على كثرة الهزائم "(١٤٠).

فيما تقدّم تبيّن لنا أن شاعر الغزل الأموي قد أَودع في خطابه مع الديار ومساءلته إياها كلّ ما في نفسه تجاهها من ألمٍ وحزنٍ وشكوى فراق ، وقد استثارهُ بقاياها كلّ ما بقي كامناً في مخيّلته تجاه من كان يسكنها .

كما تبيّن لنا كذلك أنه استطاع أن يعبّر عن حالة الوداع التي مرّ بها ابلغ تعبير وصوّرها أدقّ تصوير لاسيما عندما سحب أثرها على منازل المودَّعين مما جعله يعمل على تقويض أُسس الحضور الإنساني فيها ويلغي ملامح الحضارة الإنسانية منها .

هوامش البحث :

١. ينظر : الشعر والشعراء : ١/ ٢٣ .
٢. ديوانه : ١١ ١١٢.
٣. ديوانه : ٩٧ ٩٨ .
٤. ديوانه : ٧٦ .
٥. ديوانه : ٥٣ .
٦. ديوانه : ٤٧ ٤٨ .
٧. ينظر : طوق الحمامة : ٥١ ، ٥٣ .
٨. ديوانه : ١٠٨ .
٩. المصدر نفسه : ٢٨٨ .
١٠. ديوانه : ٥٠ .
١١.ديوانه : ٤٠٤ .
١٢.المصدر نفسه : ٤٤٢ .
١٣.الغربة والحنين : ٨٠ .
١٤.ديوانه : ٢٤٣ .
١٥.ينظر : ديوان عمر : ٥٥ ٥٨ . وديوان جميل : ١٧ ، ٢١ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١١٨ ، ١٣٠ ، ١٧٢ ، ٣٥٨ ، ٤٥٥ .
١٦.ينظر : طوق الحمامة : ١٠١ ١٠٢ .
١٧.ينظر : الشعر بين الرؤيا والتشكيل ... : ٢٦ .

١٨.ديوانه : ١٠٦ ١٠٧ .
١٩.ديوانه : ٣٣ .
٢٠.المصدر نفسه : : ١٤٠ .
٢١.ديوانه : ٤٤ .
٢٢.أُلايمُ : أُوافق .
٢٣.ديوانه : ٢٦٠ .
٢٤.المصدر نفسه : ٣٢٧ .
٢٥.ديوانه : ١١ .
٢٦.ديوانه : ٢٦٥ ٢٦٦ .
٢٧.المصدر نفسه : ١٢٣ .
٢٨.ينظر : شوبنهاور : ١٦٧ .
٢٩.ينظر : زكي مبارك بين رياض الأدب والفن : ١٦٠ .
٣٠.ديوانه : ٩٥ .
٣١.ديوانه : ١٠٧ .
٣٢.ديوانه : ٧٧ .
٣٣.ديوانه : ١٦٤ .
٣٤.المصدر نفسه : ٢٠٣ .
٣٥.طوق الحمامة : ٥١ .
٣٦.ديوانه : ٤٧ ٤٨ .
٣٧.ديوانه : ١٦١ .
٣٨.المصدر نفسه : ١٧٧ .
٣٩.ينظر : العزلة والمجتمع : ١٠٢ .
٤٠.ديوانه : ٣٩١ .
٤١.ينظر : الإنسان والزمان ... : ٧ .
٤٢.ديوانه : ٦٠ .
٤٣.ينظر : فن الحب .....: ٨٠ وينظر : دراسات نقدية لظواهر في الشعر العربي : ١٢٥
٤٤.الانسان والزمان في الشعر الجاهلي : ١١٥ .
٤٥. ينظر : الزمان والمكان وأثرهما ... : ١ / ٢٩٥ .
٤٦. ديوانه : ١٠٦ .
٤٧. القِنوان : عناقيد النخل المليء بالرطب .
٤٨. العُشَر : ضَرب من الشجر يخرج من زهره مادة سكرية .
٤٩. ديوانه : ٢٠٦ .

٥٠. الغَرب : الدلو
٥١. ديوانه : ٢٧١ ٢٧٢ .
٥٢. ديوانه : ١٢٢ .
٥٣. ديوانه : ٣٥٦ .
٥٤. المصدر نفسه : ٤٤٠ .
٥٥. ديوانه : ٤٥ .
٥٦. ديوانه : ٢٠١ .
٥٧. ينظر : المرأة في الشعر الجاهلي : ١٢٧ .
٥٨. ينظر : سن اليأس ... : ١٠٥ .
٥٩. ينظر : مجمع الأمثال : ٢ / ٣٦٦ .
٦٠. ينظر : العقد الفريد : ٣ / ٤٦ .
٦١. في بكاء الناس على الشباب وجزعهم من المشيب : ٩٣ .
٦٢. ديوانه : ١٧ .
٦٣. ديوانه : ٢٣٦ .
٦٤. ديوانه : ٤٩ .
٦٥. الأعمى التطيلي ... : ١٠١ .
٦٦. نُزَنٌّ : نتّهم .
٦٧. ديوانه : ٣٥٥ .
٦٨. ديوانه : ٣٠ .
٦٩. ديوانه : ٣٥٥ .
٧٠. ينظر : ديوان عمر : ٤٠ ، ٢٢٧ ،٢٥١ ، ديوان جميل : ١٠٧ ن ٢٥٤ ، ٣٢٦ ، ...
٧١. الإنسان والغربة في الشعر الجاهلي : ١٤٨ .
٧٢. ينظر : الحياة والموت في الشعر الأموي : ١٤٧ .
٧٣. ينظر :ابن الرومي في الصورة والوجود : ٢٨٢ وينظر كذلك شعر أوس بن حجر: ٢٥٨ .
٧٤. ينظر : الزمن في الأدب : ٤٩ ، وينظر : الفضاء الشعري ... : ١٥٢ .
٧٥. ديوانه : ٦٠ .
٧٦. ديونه : ٢٢٧ .
٧٧. المصدر نفسه : ٢٣٥ .
٧٨. ينظر : الرؤى المقنعة : ٢٢٦ .
٧٩. ديوانه : ٩٢ .
٨٠. ديوانه : ٢٧٢ .
٨١. المصدر نفسه : ٣٩٦ .

٨٢. عمر بن ابي ربيعة رائد شعر الجمال والغزل الصريح : ١٠٧ .
٨٣. ديوانه : ٤٦٩ .
٨٤. ديوانه : ٤٥ .
٨٥. ينظر : الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث : ١١٩ .
٨٦. الغربة في الشعر العراقي في القرن العشرين : ١٢٥ .
٨٧. مارسيل بروست والتخلص من الزمن : ١٨ .
٨٨. الخليط : المجاورون من الجيران .
٨٩. ديوانه : ٣٧ .
٩٠. ديوانه : ٢٤٠ .
٩١. المصدر نفسه : ٢٨٨ .
٩٢. المصدر نفسه : ٢٧٠ .
٩٣. طوق الحمامة : ٦٣ .
٩٤- لسان العرب : مادة ارق ... .
٩٥-ينظر :أبواب العقل الموصدة : ٢١٩٥ ، وينظر : أضواء من خفايا النفس : ٣٣
٩٦-ديوانه : ٩٥ .
٩٧-ديوانه : ٦٢ .
٩٨-المصدر نفسه : ١٠٢ .
٩٩-في النقد والأدب : ٢٦٩ .
١٠٠-ديوانه : ٧٦ .
١٠١-ينظر : زهر الآداب : ٣ / ٨٠٥ .
١٠٢-ديوانه : ١٠٧ .
١٠٣-ديوانه : ٢٠٥ .
١٠٤-عمر بن أبي ربيعة رائد شعر الجمال والغزل الصريح : ١٠٦ .
١٠٥-ديوانه : ١٠٨ .
١٠٦-المرأة في الشعر الجاهلي : ١٣٤ .
١٠٧- شعب الإيمان : ٦ / ٣٤٢ .
١٠٨-ينظر : النفس انفعالاتها ... : ٢٠٤ .
١٠٩-الظرف والظرفاء : ٣٨ .
١١٠-ديوانه : ٢٢ .
١١١-ديوانه : ٥٤ .
١١٢-المصدر نفسه : ٤٢٩ .
١١٣-الحب عند العرب : ٢٤ .

١١٤-ديوانه : ١١٩ .
١١٥-مختلجاً : قليل لحم الوجه .
١١٦-ديوانه : ٨٨ .
١١٧-ديوانه : ٦٢ ٦٣ .
١١٨-عمر بن ابي ربيعة رائد شعر الجمال والغزل الصريح : ٤١٥ .
١١٩-ديوانه : ٤١٥ .
١٢٠-طوق الحمامة : ٧٥ .
١٢١-ديوانه : ٧٢ .
١٢٢-ديوانه : ٩٦ .
١٢٣-ديوانه : ٨٢ .
١٢٤-ديوانه : ١٠٦ .
١٢٥-ديوانه : ٤٦ .
١٢٦-ديوانه : ٤٤١ .
١٢٧-المصدر نفسه : ١٦٥ .
١٢٨-ينظر : الطبيعة في الشعر الجاهلي : ١٩٤ .
١٢٩-ينظر : المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها : ٣/ ٩١١ .
١٣٠-ينظر : رثاء الأبناء في الشعر العربي الى نهاية القرن الخامس : ٤٩ .
١٣١-ينظر : ظاهرة القلق في الشعر الجاهلي : : ١٢٥
١٣٢-ديوانه : ٦٢ .
١٣٣-ديوانه : ١٤٨ .
١٣٤-بان عامره : بعد أهله .
١٣٥-ديوانه : ٥٣ .
١٣٦-في النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي : ١٤٧ .
١٣٧-ديوانه : ٤٨١ .
١٣٨-ديوانه : ١٧ .
١٣٩-ديوانه : ٤٨ ٤٩ .
١٤٠-ظاهرة القلق في الشعر الجاهلي : ٢٥

المصادر والمراجع:

١. ابن الرومي في الصورة والوجود ، د. علي شلق ، نشر وتوزيع الشركة الشرقية ، لبنان ، ١٩٨٩.
٢. أبواب العقل الموصدة ، باب النوم وباب الأحلام ، د.علي كمال، دار واسط ، ط٢ ، ١٩٩٠ .
٣. أضواء على خفايا النفس ، د. وضاح سيد وهبه ، منشورات شعاع للنشر والتوزيع ، حلب ،ط١ ،٢٠٠٣.
٤. الأعمى التطيلي ، حياته وأدبه ، عبد الحميد عبد الله ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، ط١ ، ١٩٨٣ .
٥. الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي ، د. حسني عبد الجليل يوسف ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٨.
٦. الحبُّ عند العرب دراسة أدبية تاريخية ، إعداد المكتب العلمي للبحوث ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، (د . ت) .
٧. الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث ، ماهر فهمي الجبلاوي، مصر ،١٩٧٠
٨. الحياة والموت في الشعر الأموي ، محمد بن حسن الزير ، دار أميّة للنشر والتوزيع ، الرياض ، (د . ت) .
٩. دراسات نقديّة لظواهر في الشعر العربي ، د . حسين علي عبد الحسين ألدخيلي ، دار الحامد للطباعة والنشر ، ط١ ، عمان ، الأردن ، ٢٠١٠ .
١٠. ديوان عمر بن أبي ربيعة ، تحقيق :د. درويش الجويدي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٩.
١١. الرؤى المقنعة ، كمال أبو ديب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ .
١٢.رثاء الأبناء في الشعر العربي الى نهاية القرن الخامس الهجري ، د. مخيمر صالح موسى يحيى ، ط١ ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الأردن ، ط١، ١٩٨١.
١٣. زكي مبارك بين رياض الأدب والفن ، فاضل خلف، المطبعة النموذجية ،(د.ت)

١٤. الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره ، دراسةٌ نقديةٌ نصيّةٌ، د. صلاح عبد الحافظ ، ج١ ، دار المعارف ، (د. ت)
١٥. الزمن في الأدب ، هانز ميرهوف ، ترجمة د. اسعد رزوق ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٢ .
١٦. زهر الآداب وثمر الألباب ، أبو إسحاق إبراهيم بن علي ألحصري القيرواني ، حققه وضبطه وشرحه ووضع فهارسه ،علي محمد البجاوي ،ط٢، ١٩٦٩ .
١٧. سن اليأس ، د. زكريا إبراهيم، مجلة العربي ، العدد١٠٣، حزيران ، ١٩٦٧ .
١٨.شرح ديوان جميل بثينة، دار الكاتب العربي ،بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٦٨.
١٩.شعب الإيمان ،أبو بكر بن الحسن البيهقي ، تحقيق: محمد سعيد زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٠ه.
٢٠. شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين ، دراسة تحليلية، د. محمود عبد الله الجادر ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، دار الرسالة ، بغداد ، ١٩٧٩ .
٢١.الشعر بين الرؤيا والتشكيل ،د. عبد العزيز المقالح ، دار العودة ، بيروت ، ط١ ،١٩٨١.
٢٢. الشعر والشعراء ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، دار الثقافة ،بيروت ، لبنان ، ١٩٦٢ .
٢٣. شوبنهاور ، د. عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، دار القلم ، بيروت ، (د.ت) .
٢٤. الطبيعة في الشعر الجاهلي ، د. نوري حمودي القيسي ، دار الإرشاد ، بيروت، ط١ ، ١٩٧٠ .
٢٥. طوق الحمامة في الألفة والألاَّف ، ابن حزم الأندلسي ،تحقيق: طه عبد الرؤوف ، دار الحرم للتراث ، القاهرة ، ط١ ،٢٠٠٢.
٢٦. ظاهرة القلق في الشعر الجاهلي ، أحمد الخليل ، المكتبة الأدبية المختصّة ، دار طلاس للدراسات والنشر ، سوريا ، ط١ ، ١٩٨٩.
٢٧. الظّرف والظّرفاء ، أبو الطيّب محمد إسحاق الوشّاء ، عالم الكتب ، ط١، ١٣٢٤ ه

٢٨. العزلة والمجتمع ، نيقولاي برديائيف ، ترجمة : فؤاد كامل ، بغداد ، مشروع النشر المشترك ، ط٢ ، ١٩٨٦ .
٢٩. العقد الفريد ، ابن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق : أحمد أمين وأصحابه ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ،ط٣ ، القاهرة ،١٩٦٥ .
٣٠. عمر بن أبي ربيعة رائد شعر الجمال والغزل الصريح ، د. ياسين الأيوبي ، مطبعة رشاد برس ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٩.
٣١.الغربة في الشعر العراقي في القرن العشرين ، د. فليح كريم الركابي ، بغداد ، العراق ، ٢٠٠٧ .
٣٢.الغربة والحنين في الشعر العربي الأندلسي ، د. احمد حاجم الربيعي ،رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٣ .
٣٣. الفضاء الشعري عند الشعراء اللّصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي ، د. حسين علي عبد الحسين ألدخيلي ، دار الحامد للطباعة والنشر ، عمان ، الأردن ، ط١ ، ٢٠١١ .
٣٤.فن الحب، بحث في طبيعة الحبّ وأشكاله ،أريك فروم ،(د . ت) .
٣٥. في ذكر بكاء الناس على الشباب وجزعهم من المشيب ، عبد الرحمن علي بن الجوزي ، تحقيق: هلال ناجي ، مجلة المورد ، ع٣ ،م٣ ،١٩٧٣ .
٣٦. في النقد الجمالي ، رؤية في الشعر الجاهلي ، د. أحمد محمود خليل ،دار الفكر ، دمشق ، ط١، ١٩٩٦ .
٣٧. في النقد والأدب ، إيليا حاوي ، ج١ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٧٩
٣٨. لسان العرب ، ابن منظور الأنصاري ، اعتنى بتصحيحها ، أمين محمد عبد الوهاب ومحمد صادق ألعبيدي ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، ١٩٩٩ .
٣٩. مارسيل بروست والتخلص من الزمن ، جيرمين بريه ، ترجمة : نجيب المانع ، بغداد ، ١٩٧٧ .

٤٠. مجمع الأمثال ، أبو الفضل احمد بن محمد بن احمد الميداني ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٩٥٥ .
٤١. المرأة في الشعر الجاهلي ، د. علي الهاشمي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٠ .
٤٢. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، د. عبدالله الطيب المجذوب ، منشورات دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٠ .
٤٣. النفس ، إنفعالاتها وأمراضها وعلاجها ، د. علي كمال ، دار واسط ، ط٤ ، ١٩٨٨.